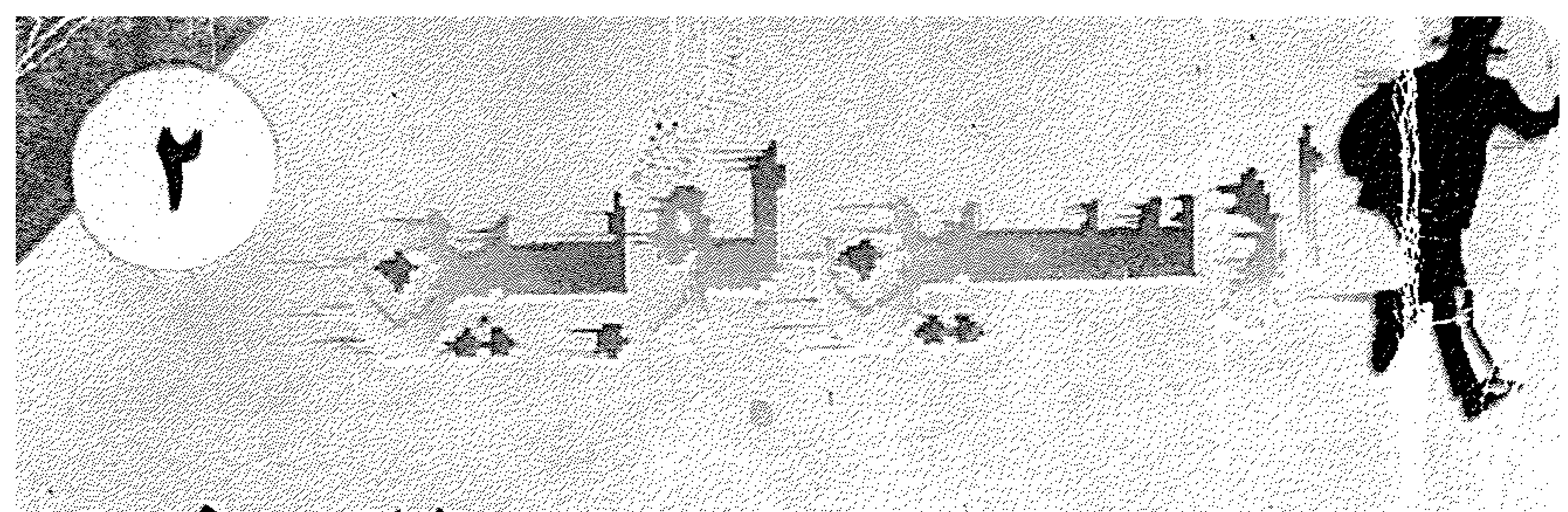
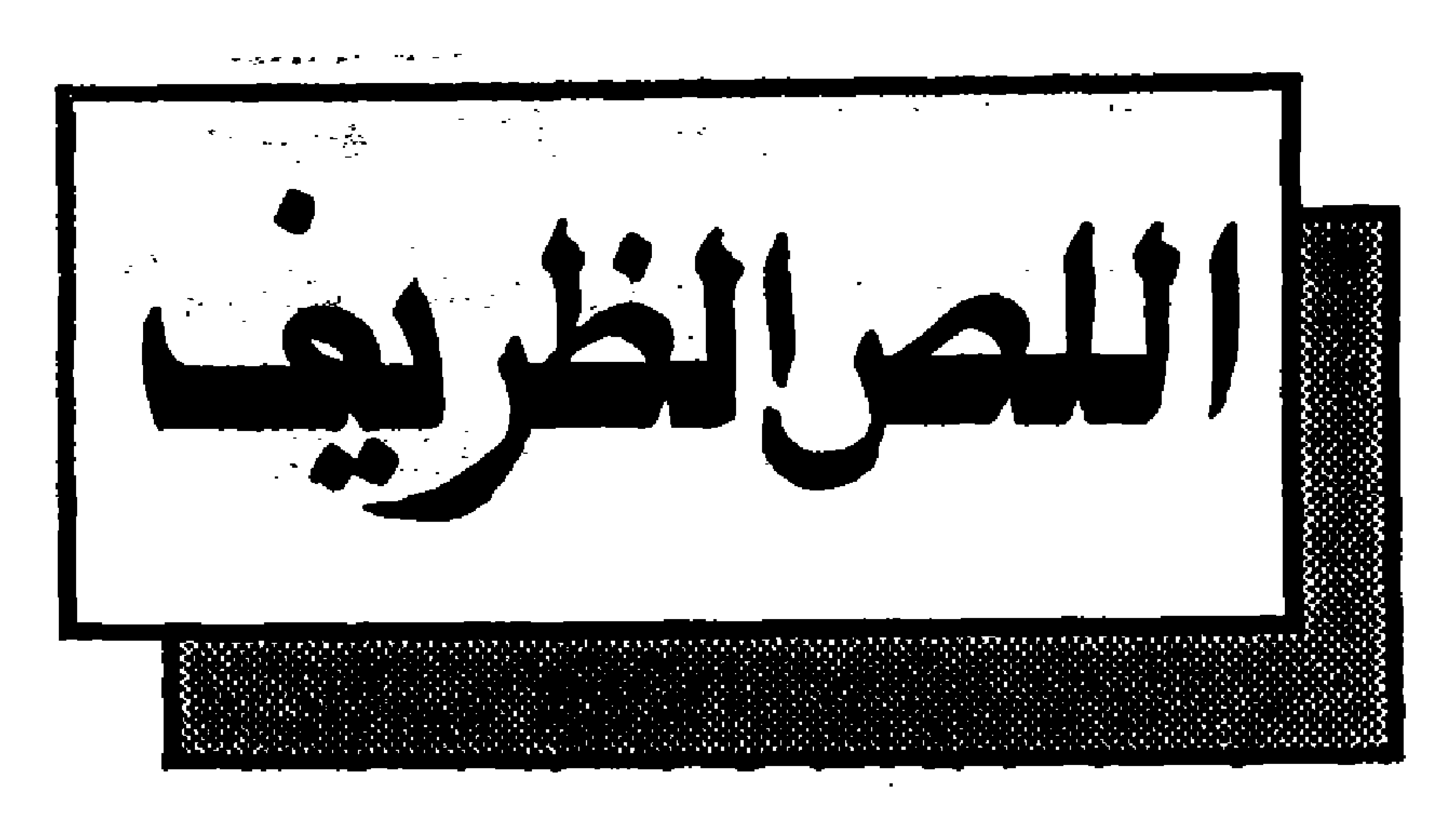


اللص الظريف

ارسين لوبين

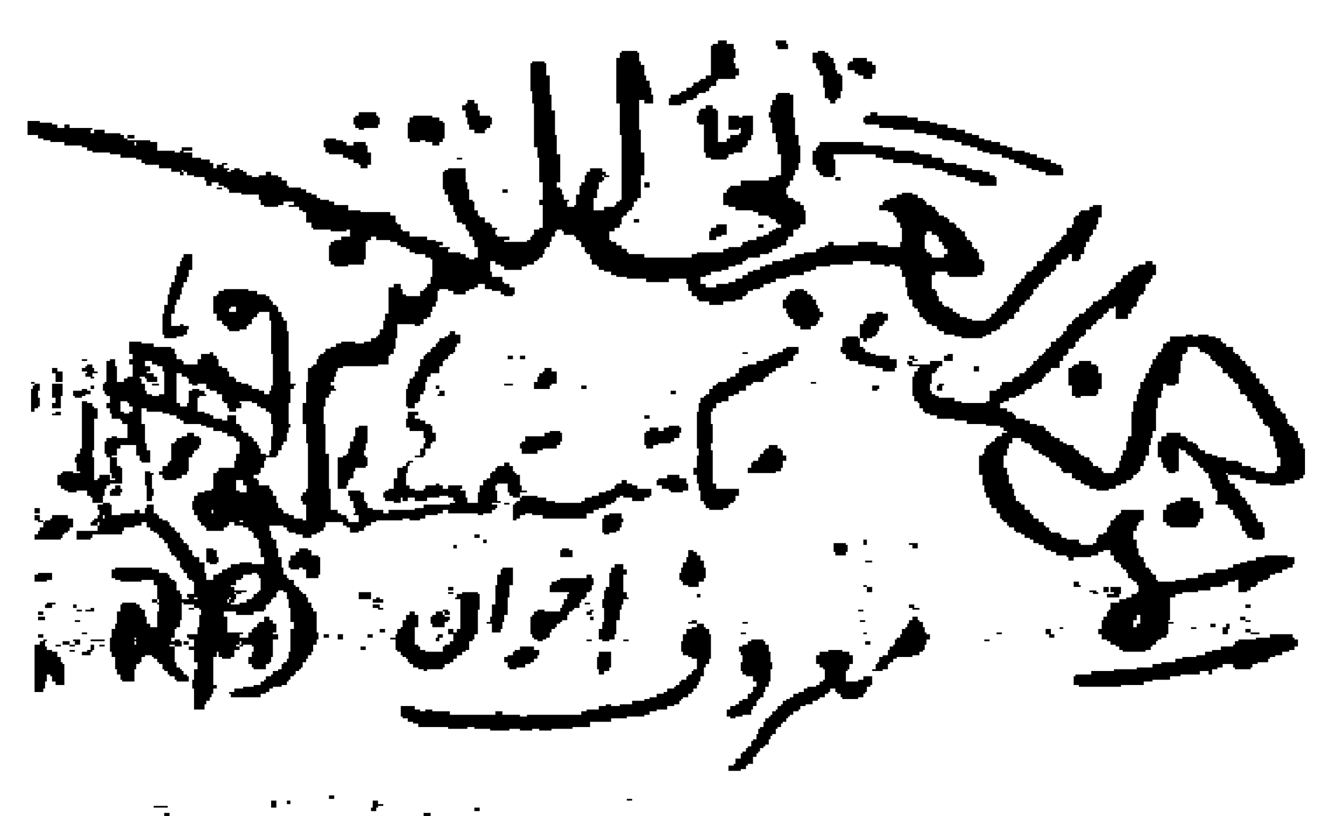


اللص الظريف

تأليف

موريس لبلان

ترجمة محمد عبد المنعم جلال



اسكندرية ـ ٤ش سعد زغلول ـ ت: ٨١٠٨٢٨

القاهرة ـ ٤٣ ب ش رمسيس ـ ت: ٥٧٤٣٦١١

الموزعون
بالمملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
ت ٤١١١١٢٠٧١ - ٤٠٥٨٨٦٦٠ الرياض

١
القبض على ارسين لوبين

ما أغربها رحلة ! .. ومع ذلك فقد بدأت بداية طيبة . ومن ناحيتى لم يسبق لى أن استمتعت برحلة ممتعة مثلها . والبروفانس باخرة سريعة ومريحة يقودها اكثر الرجال رقة ويجتمع بها نخبة ممتازة من الطبقة الراقية . يتآلف عليها الناس وتدار فيها حفلات اللهو البريئة . وكنا نحس بذلك الاحساس اللذيذ بأننا معزولون عن العالم ، كما لو اننا نعيش فى جزيرة مجهولة ، تدفعنا الظروف الى ان يتقارب بعضنا من البعض الآخر . وقد تقاربنا .

هل خطر بذهنك أبدا طرافة وغرابة تلك الجماعة التى كانت بالأمس القريب لا يعرف أحدهم الآخر والتى ستقضى بضعة أيام بين السماء اللامتناهية والبحر الشاسع فى سعادة كبيرة ، تتحدى غضبات الطبيعة وهدير الامواج الصاخبة وقسوة العواصف وسكون الماء الراقد المخيف ؟

والواقع أن مثل تلك الرحلة ما هى الا نوع من الحياة الوجيزة بزوابعها وأمجادها ورتابتها وجمالها . ولعل هذا هو السبب فى اننى أحسست بمتعة محمومة ولذة فائقة بتلك الرحلة القصيرة

التى كنت أرى نهايتها فى نفس اللحظة التى بدأت فيها .

ولكن حدث شئ منذ سنوات زاد من قيمة الرحلات البحرية وربط الجزيرة الصغيرة العائمة بذلك العالم الذى اعتقدنا اننا تحررنا منه ، واعنى به التلغراف اللاسلكى .. نداءات من العالم الآخر تنقل الينا الأخبار بأشد الوسائل غموضا ، فلا يمكن للخيال أن يتصور ان هناك اسلاكا من الحديد تمر الأصوات عبرها بشتى الوسائل المختلفة ، والحق أن أمرها مستغلق جدا وغامض كل الغموض وشاعرى فى نفس الوقت ، ويجب ان نلجأ الى اجنحة الريح لتفسير هذه المعجزة الجديدة .

وهكذا خامرنا الاحساس منذ الساعات الأولى بأن هناك من يتبعنا ، ويرافقنا ، بل ويسبقنا بذلك الصوت البعيد الذى يهمس لأحدنا ، من وقت لآخر ، ببضع كلمات من العالم الآخر . وقد خاطبنى صديقان وأرسل الى عشرة آخرون ، بل عشرون ، بتحياتهم الشجية والباسمة ، عبر الفضاء .

ولكن ، فى اليوم التالى ، على بعد خمسمائة ميل من السواحل الفرنسية ، فى عصر يوم عاصف نقل لنا التلغراف البرقية التالية :

ارسين لوبين على متن الباخرة ، فى الدرجة الاولى ، شعر أشقر وجرح فى مقدم ساعده الأيمن ، ويرحل وحده متخذا اسم ر..

وفى هذه اللحظة بالذات دوى الرعد بعنف فى السماء المكفهرة وقطع الأمواج الكهربائية ولم تصلنا بقية البرقية ، ولم نعرف من

الاسم الذى ينتحله ارسين لوبين غير الحرف الأول منه .
ولو أن الأمر كان يتعلق باى نبأ آخر فلست أشك فى أنه كان يظل فى طى الكتمان ولا يسارع موظفو التلغراف الى الكشف عنه ولتكتمه الربان ومساعده . ولكن هناك أحداثا تتحدى الكتمان مهما كان شديدا ، ففى نفس اليوم عرفنا دون ان ندرى كيف انتشر الخبر ، ان ارسين لوبين يختبئ بيننا .
ارسين لوبين بيننا .. اللص الذى لم يتمكن البوليس من القبض عليه ابدا ، والذى تروى الجرائد مغامراته العجيبة منذ شهور طويلة ، ذلك المغامر الغامض الذى يطارده جانيمار العجوز مفتش البوليس المشهور الذى أقسم ألايهدأ له بال الا بعد القبض عليه . ارسين لوبين ، الجنتلمان الظريف الذى لايسرق الا القصور والصالونات ، والذى دخل ذات ليلة قصر البارون شورمان ، وخرج منه صفر اليدين وترك بطاقة فيها هذه الكلمات " ارسين لوبين " ، اللص الظريف ، سيعود عندما تكون قطع الأثاث والتحف حقيقية ارسين لوبين الرجل ذو الألف شكل ، فهو اما سائق أو مطرب او صاحب مكتب مغامرات او سليل أنبل العائلات .. شاب أو محصل او تاجر متجول من مرسيليا أو طبيب روسى أو مصارع ثيران اسبانى !
وليكن هذا مفهوما .. ارسين لوبين يمشى جيئة وذهابا على سطح الباخرة .. فى ذلك الركن الصغير من الدرجة الاولى حيث يتواجد المسافرون فى كل لحظة . وفى قاعة الطعام ، وفى صالون

الاستقبال ، وفى قاعة التدخين ارسين لوبين .. لعله هذا الرجل .. او ذاك ... جارى على المائدة .. او زميلي في المقصورة .

وصاحت الآنسة نيللى أندردون فى صباح اليوم التالى وسيدوم هذا خمسة أيام أخرى .

وتحولت الى وقالت : ومارأيك أنت يامسيو داندريزى .. أنك على علاقة طيبه بالقبطان ، أفلا تعرف شيئا .

وددت لو أن أعرف شيئا لكى أروق لها ، فقد كانت من تلك المخلوقات الرائعة التى تثير اهتمام كل من تلتقى بهم .. جمالهن يبهر كثرواتهن ، يسارع الجميع الى اكتساب مودتها .

اشرفت على تربيتها أم فرنسية ، وكانت تنتقل للاقامة مع أبيها الثرى أندردون بشيكاغو . وكانت ترافقها صديقة لها تدعى الليدى جيرلاند .

عقدت العزم منذ الدقيقة الأولى على مغازلتها .، ولكننى أثناء الصداقة السريعة التى تربط الركاب بعضهم ببعض ، خلال الرحلات البحرية ، شعرت بالارتباك أمام فتنتها ، وبالانفعال كلما التقت عيناى بعينيها ، ومع ذلك فقد قابلت مجاملاتى برقة لها معناها وراحت تضحك لمداعباتى وتهتم بنوادرى . وبدا لى أن ودا غامضا يتجاوب مع الاهتمام الذى ابديه نحوها .

ولكن لعل عزولا واحدا أزعجنى وهو شاب أنيق متحفظ كانت تبدو أنها تستلطف فى بعض الاحيان مزاجه الصامت اكثر من اهتمامى الزائد . .

وكان ذلك الشاب من ضمن الجماعة التى أحاطت بمس تيللى عندما سألتنى ، وكنا على سطح المركب ، جالسين فى مقاعد وثيرة . وكانت السماء صافية بعد عاصفه الأمس ، والجو صحوا ، وأجبتها :

- لاأعرف شيئا بالتدقيق ياآنسة ، ولكن هل يتعلر علينا أن نقوم نحن بالذات بالاستقصاء والتحرى ، تماما كما قد يفعل العجوز جانيمار العدو اللدود لأرسين لوبين ؟

- اوه ، .. اوه .. انك تتقدم كثيرا .

- وفيم اذن .. هل الأمر معقد الى هذا الحد ؟

- بل معقد جدا .

- ذلك أنك تنسين المعلومات التى لدينا لكى نجلو ذلك الأمر

- اية معلومات .

- اولا ان لوبين يتخذ اسما يبدأ بحرف الراء .

- معلومة غامضة بعض الشئ .

- ثانيا .. انه يسافر بمفرده .

- وهل تكفيك هذه المعلومة ؟

- ثالثا انه أشقر .

- وبعد ؟

- لم يعد أمامنا الا فحص قائمة الركاب وان نقوم باستبعاد .. وكانت تلك القائمة معى ، فى جيبى ، فأخرجتها ورحت أقرأ:

اری قبل كل شئ ان هناك ثلاثة عشر رجلا يثير الحرف الاول من اسمائهم اهتمامنا .

ثلاثة عشر رجلا فحسب .

نعم ، وذلك فى الدرجة الاولى . ومن هؤلاء الرجال الثلاثة عشر الذين تبدأ اسماؤهم بحرف الراء ، تسعة يرحلون مع روجاتهم واولادهم أو خدمهم . ويبقى أربعة رجال يسافر كل منهم بمفرده المركيز دى رافيردان ...

قاطعتنى مس نيللى قائلة : الوزير .. اننى أعرفه .

- والميجور راوسون .

فقال بعضهم : انه عمى .

ومسيو ريفولتا .

صاح واحد منا ، وهو ايطالى يختفى وجهه تحت لحية سوداء : موجود

قهقهت مس نيللى وقالت وهو ليس أشقر كما ترى .

قلت اذن فنحن مضطرون الى الاقتناع بأن المجرم هو آخر من فى القائمة .

- ومن هو ؟

- مسيو دى روزين .. هل يعرف أحد المسيو دى روزين .

خيم الصمت . ولكن مس نيللى خاطبت الشاب الصموت الذى تزعجنى ملازمته لها :

- حسنا يامسيو دى روزين .. ماقولك ؟

تحولت العيون اليه ، وكان أشقر .

واعترف باننى احسست بأن صدمة صغيرة بدأت تذوب فى أعماقى ، ودلنى الصمت المقلق الذى أثقل علينا أن جميع الآخرين أحسوا بنفس الاحساس الذى أحسست أنابه . على ان الأمر كان سخيفا لأن لاشئ فى مسلك ذلك الشاب يوحى بالشك .

وقال : وماذا أقول . فنظرا الى اننى أسافر بمفردى وان لون شعرى اشقر قمت بتحقيق مماثل وتوصلت الى نفس النتيجة ، ومن رأيى اذن ان تلقوا القبض علىّ .

كان غريبا فى طريقته وهو ينطق بتلك الكلمات . وازدادت رقة شفتيه واصفر لونهما وتصاعد الدم الى عينيه .

كان يمزح بكل تأكيد ، ومع ذلك فقد أثر علينا مظهره ومسلكه ، وسألته مس نيللى فى سذاجة :

– ولكنك لست جريحا .

فقال : هذا صحيح ، فالجرح غير موجود .

وشمر عن كمه فى عصبية وكشف عن ذراعه . ولكن خطر لى خاطر على الفور ، والتقت عيناى بعينى مس نيللى ، ذلك أنه كشف عن ذراعه الأيسر .

والحق اننى كنت سأشير الى ذلك عندما وقع شئ حول اهتمامنا فقد أقبلت الليدى جيرلاند ، صديقه نيللى ، وهى تركض :

كانت شديده الاضطراب وأسرعنا جميعا إليها . ولم تستطع

الا ان تقول بعد جهد كبير :

- مجوهراتى .. سرقت كلها .

نجمة من الماس وقلادة من الياقوت وعقود وأساور أخذ اللص كل شئ . لم يسرق اكبر الأحجار وانما انتقى أجمل الأحجار واصغرها وكلها احجار كريمة ثمينة ، اكثرها قيمة وأقلها حجما . كانت الهياكل محطمة وملقاه فوق المنضدة . رأيتها بل رأيناها جميعا ، مجردة من مجوهراتها كازهار انتزعت منها اوراقها الجميلة البراقة والملونة .

ولانجاز ذلك العمل كان لابد من تحطيم باب المقصورة فى وضح النهار اثناء تناول الليدى جيرلاند الغداء وان يعثر على حقيبة صغيرة اخفيت عمدا فى علبة من الكرتون من علب القبعات فتحها وانتقى منها مايريد .

ولم تحدث منا غير صرخة واحدة ، وأجمع الركاب عندما عرفوا بنبأ السرقة

انه ارسين لوبين ، والواقع ان طريقة السرقة كانت طريقته التى اشتهر بها ، الطريقة المعقدة الغامضة العجيبة .

وأثناء العشاء بقى المكانان اللذان بجوار دى روزين شاغرين، وعلمنا فى المساء ان القبطان استدعاه .

وتسبب القاء القبض عليه ارتياحا حقيقيا وتنفس الجميع الصعداء أخيرا . ولهونا فى تلك الليلة ورقصنا . واظهرت مس

نيللى على الخصوص مرحا شديدا دلتنى على انه اذا كانت مجاملات روزين قد راقت لها فى الهداية فانها سرعان مانسيتها وغزا سحرها قلبى أخيرا . وفى نحو منتصف الليل ، اكدت لها ، على ضوء القمر اخلاصى بانفعال بدا أنه راق لها .

ولكن ماكانت أشد دهشتنا فى صباح اليوم التالى عندما علمنا أن روزين قد أطلق سراحه لعدم كفاية الأدلة .

فهو ابن تاجر كبير من تجار بردو ، وقد ابرز اوراقا مستوفاة تماما ، ثم انه لم يكن بذراعيه أى آثار لجروح .

وصاح اعداء روزين : اوراق ؟ شهادات ميلاد ! ولكن ارسين لوبين يستطيع ان يقدم منها مايشاء . أما الجرح فذلك انه لم يصب به اصلا . أو لعله أخفى أثره .

وعندما اعترضوا عليهم بأنه ثبت ان روزين كان يتمشى على سطح المركب ساعة وقوع السرقة ردوا عليهم بحدة :

– وهل أرسين لوبين بحاجة الى أن يتواجد فى مكان السرقة عندما يسرق شيئا . ثم انه ، كان هناك ، خارج كل اعتبار غريب، نقطة لم يستطع أشد المتشككين استبعادها ، فمن غير روزين يسافر بمفرده ، ومن غيره أشقر الشعر ويبدأ اسمه بحرف الراء ؟ والى من أشارت البرقيه اذا لم يكن الى روزين ؟

وعندما أقبل روزين فى جرأة ، قبيل الغداء ، نحو جماعتنا

نهضت مس نيللى والليدى جيرلاند وابتعدتا .

كانتا خائفتين .

وبعد ساعة انتقل منشور من يد الى يد بين موظفى الباخرة والبحارة وركاب جميع الدرجات يقول ان مسيو لويس روزين يتعهد بدفع مكافأة قدرها عشرة آلاف فرنك لمن يكشف النقاب عن ارسين لوبين أو يعثر على اللص الذى سرق الأحجار الكريمة .

وقال روزين للقبطان : واذا لم يساعدنى أحد فى الكشف عن ذلك اللص فسيكون له شأن معى .

روزين ضد أرسين لوبين ، أو بالحرى طبقا للكلمة التى سرت أرسين لوبين بالذات ضد ارسين لوبين . كان النضال مثيرا للاهتمام حقا .

وامتد النضال يومين . ورأينا روزين يهيم ذات اليمين وذات الشمال ، ويختلط بالموظفين ويبحث ويتحرى . ورأينا خياله فى الليل وهو يطوف ويتسكع .

وبذل القبطان من ناحيته نشاطا محموما . وتم فحص جميع اركان الباخرة ، وتفتيش جميع الغرف بدون استثناء . تحت اقوى الحجج وهو ان الاشياء المسروقة قد تكون مخبأة فى اى مكان فيما عدا غرفة اللص .

وسألتنى مس نيللى : سوف ينتهون إلى إكتشاف شئ ما . اليس كذلك ؟ فان المسروقات لايمكن ان تختفى الى مالا نهاية مهما كان السارق ساحرا .

فأجبتها : بل هذا ممكن ، الا اذا تحسسوا قبعاتنا وقلبوا بطاقات ستراتنا وكل مانحمله معنا .

وأريتها آلة التصوير الخاصة بى ، وهى من طراز كوداك ، وكنت أحملها معى دائما ولا اكف عن التقاط صور لها فى كل الأوضاع .

- خذى مثلا هذه الألة الصغيرة ... أفلا ترين انه رغم صغرها يمكن ان تحتوى على كل الاحجار الكريمة التى سرقت من الليدى جيرلاند . فان ألمرء يتظاهر بأنه يلتقط بعض المناظر ، وتخيل الحيلة على الجميع .

- ومع ذلك فاننى سمعت ان مامن لص الا ويترك وراءه اثرا ما.

- لماذا ؟

- لماذا ؟ لأنه لايفكر فى السرقة التى يرتكبها فحسب وانما فى كل الظروف التى يمكن ان تكشف عنه .

- كنت اكثر ثقة فى البداية .

- ولكننى رأيته يعمل بعد ذلك .

- واذن ... مارأيك ؟

- رأيى أنهم يضيعون وقتهم .

والواقع أن الابحاث لم تسفر عن شئ أو على الأقل أسفرت عن شئ لم يطابق الجهد المبذول . ذلك أن ساعة القبطان سرقت .

واشتد غضبه ، وضاعف جهده ، وراقب روزين عن قرب

أكثر ، وكان قد تبادل معه أحاديث طويلة . وفي اليوم التالى ، كان من دواعى السخرية انهم عثروا على الساعة بين باقات مساعد القبطان .

بدا ذلك أمرا عجيبا يكشف عن طريقة ارسين لوبين الظريفة.. انه لص ، ليكن ، ولكنه هاو أيضا ، يعمل بذوق وميل خاص بالطبع ، ولكن بداعى اللهو والتسلية ايضا . كان يعطى انطباع رجل يلهو بما يفعل ويضحك ويقهقه بينه وبين نفسه من دعاباته ومن المواقف التي يتصورها .

كان فنانا بطبعه دون شك . وعندما كنت انظر متفحصا الى روزين المتجهم والعنيد ، وافكر في الدور المزدوج الذى لاشك يقوم به . لم يكن يسعنى الا أن انظر اليه فى شئ من الاعجاب .

ولكن فى الليلة قبل الأخيرة سمع ضابط النوبة تأوهات فى مكان شديد الظلام من سطح الباخرة ، فاقترب ، ورأى رجلا ممددا يغطى رأسه غطاء رمادى سميك ومعصماه موثقان بحبل رقيق .

وخلصوه من وثاقه ، ونقلوه وأسعفوه .

ذلك الرجل كان روزين .

هوجم روزين وهو يقوم بنشاطه وضرب وجرد مما معه وعلقت بسترته بطاقه بدبوس عليها هذه الكلمات :" ارسين لوبين يقبل بامتنان العشرة آلاف فرنك التى يقدمها مسيو روزين مكافأة "

والواقع ان المحفظه التى سرقت منه كانت تحتوى على عشرين

الف فرنك وبالطبع اتهم المسكين بأنه تصنع هذه المهاجمة ضد نفسه
ولكن فوق انه كان من المستحيل ان يقيد نفسه بتلك الطريقة
فقد ثبت ان خط البطاقة يختلف عن خط روزين ويشبه على
العكس كل الشبه خط ارسين لوبين كما نشرته جريدة قديمة وجدت
بالباخرة .

وهكذا ثبت ان روزين ليس ارسين لوبين وان روزين هو روزين
ابن أحد تجار بوردو . وتأكد وجود ارسين لوبين مرة أخرى
وبطريقة مريعة .

وانتشر الخوف بين الجميع ، ولم يعد أحد يجرؤ على البقاء
بمفرده فى غرفته ولا ان يجازف بالسير وحده فى الاماكن المنعزلة
جدا . ودفع الحذر بالجميع الى ان يتواجدوا فى جماعات ثم أن
الشك الغريزى باعد بين أشد الأصدقاء ، ذلك أن التهديد لم يكن
يصدر من شخص منعزل ومراقب ، وبصفتيه هاتين غير خطر ،
وارسين لوبين كان الآن .. كل واحد من الركاب نسب له خياله
الهائج قدرة عجيبة لاحدود لها . اعتقدوا أنه جدير بأن يتنكر فى
اية صورة يريد وان يكون من وقت لآخر الميجور راوسون المحترم
أو المركيز النبيل دى رامزدان ، ولم يتوقفوا عند الاتهام المبدئى ،
وقالوا انه قد يكون اى شخص من الركاب له زوجه وأولاد وخدم.

ولم تأتنا البرقيات اللاسلكيه الأولى بأى جديد ، أو على
الأقل لم يطلعنا القبطان على اية برقية ، ولم يكن مثل هذا
الصمت ليبعث فينا الاطمئنان .

ولهذا بدا لنا اليوم الأخير طويلا لاينتهى . عشناه ونحن ننتظر فى قلق وقوع مصاب . لن تكون هذه المرة مجرد سرقة أو مجرد اعتداء ، بل سوف تقع جريمة ، جريمة قتل . ساد الاعتقاد بأن ارسين لوبين لن يقنع بهاتين السرقتين التافهتين ، فانه السيد المطلق بالباخرة ، ويستطيع التغلب على المسئولين فيأخذ كل شئ

وكانت ساعات حلوة ولذيذة بالنسبة لى ، لانها اكسبتنى ثقة نيللى ، فقد تأثرت بكل تلك الأحداث ، وبطبيعتها القلقة التمست الى جوارى بطريقة تلقائية حماية وأمانا اسعدنى أن اتيحهما لها .

والحق اننى باركت ارسين لوبين . ألم يكن هو الذى قرب بيننا وبفضله كان له الحق فى ان استسلم لأسعد الأحلام ، احلام حب ، واحلام خيالية على الأقل . ولماذا لااعترف بها ؟ فان آل داندريزى من سلالة نبيله ، ولكنها مفلسة ، وبدا لى أننى كرجل نبيل يجدر بى ان أعيد لاسمى بريقه المفقود .

وتلك الأحلام ، احسست انها لاتسئ نيللى على الاطلاق وسمحت لى عيناها الباسمتان أن أهدهد تلك الاحلام وحلاوة صوتها اوحت الى بالأمل .

وبقينا حتى اللحظة الأخيرة جنبا الى جنب ، معتمدين على الدرابزين بينما كانت السواحل تقترب منا .

كانت التحريات والأبحاث قد اوقفت ، ورحنا ننتظر ، وراحوا يجمعون الركاب من كل الدرجات فى انتظار اللحظة النهائيه التى

ينجلى فيها السر الغامض فمن هو ارسين لوبين ، وتحت أى اسم يختفى ارسين لوبين المشهور .

واقبلت اللحظة الحاسمة ، ولو اننى عشت مائة سنه فلن أنسى ادق التفاصيل . وقلت لزميلتى التى تعتمد على ذراعى وهى خائرة القوى .

– ما أشد شحوبك !

فأجابتنى قائلة : وانت ؟ انت متغير جداً .

– لك أن تفكرى اذن . هذه دقيقة مثيرة ، وأنا سعيد جدا بأن أعيشها بجوارك يامس نيللى ، يبدو لى انك لن تنسى هذه اللحظة .

لم تكن تصغى الى . كانت تلهث ، محمومة ، وأنزل الجسر . ولكن قبل أن يسمح لنا باجتيازها صعد بعض الرجال الى سطح السفينة . رجال الجمارك ورجال بملابس رسمية وسعاة .

وتمتمت مس نيللى : لو اتضح أن أرسين لوبين هرب أثناء الرحلة فلن يدهشنى ذلك أبداً .

– لعله آثر الموت عن العار وألقى بنفسه فى المحيط بدلا من القبض عليه .

قالت فى استياء : لاتمزح .

اجفلت فجأة ، واذ سألتنى أجبتها : أترين هذا الرجل العجوز الواقف فى آخر العبارة ؟

– ذلك الذى يحمل مظلة ويرتدى سترة خضراء ؟

- انه جانيمار .

- جانيمار ؟

- نعم ، مفتش البوليس الشهير الذى أقسم أن يلقى القبض على أرسين لوبين بنفسه اوه ، اعرف الآن لماذا لم تأتنا معلومات من هذه الناحية من المحيط ، فان جانيمار كان هنا ولايريد ان يتدخل أحد فى شئونه الصغيرة .

- اذن فمن المؤكد ان يقع ارسين لوبين بين يديه .

- من يدرى ؟ ان جانيمار لم يره ابدا على مايبدو الا متنكرا ، الا اذا كان يعرف الاسم الذى يتخذه .

قالت بذلك الفضول القاسى الذى تتسم به المرأة : آه . لو أستطيع ان أشهد القاء القبض عليه .

- فلنتجمل بالصبر . من المؤكد ان ارسين لوبين قد لاحظ الآن وجود عدوه ، وسيؤثر ان ينصرف بين الآخرين عندما تكل عين الرجل العجوز .

وبدأ هبوط الركاب . ووقف جانيمار معتمدا على مظلته فى غير مبالاة . وبدا انه لايهتم بالجموع التى تتعجل الانصراف . ورأيت ان احد ضباط الباخرة يقف بجواره ويتحدث اليه من لحظة لأخرى .

هبط المركيز دى رافيردن ثم الميجور راوسون ، فالايطالى ريفوتا وغيرهم ، وغيرهم كثيرون . ورأيت روزين يقترب .

ياللمسكين روزين . كان لايزال يبدو متأثرا بما حدث له .

وقالت نيللى :

- لعله هو على كل حال .. مارأيك ؟

- أرى ان من الأهمية بكثير ان نلتقط صورة لجانيمار وروزين . اليك بآلتى ، فان يدى مشغولتان .

وأعطيتها آلة التصوير . ولكن لم يسعفها الوقت لاستخدامها فقد همس الضابط فى اذن جانيمار ، ولكن هذا الأخير هز كتفيه ومر روزين .

ولكن كيف هذا بحق الله ؟ من ارسين لوبين اذن ؟

وقالت بصوت مسموع : نعم ، من هو ؟

لم يعد هناك غير عشرين من الركاب . وراحت تنظر اليهم الواحد بعد الآخر فى خوف غامض من ان يكون بينهم وقلت لها :

- لايمكن ان ننتظر اكثر من ذلك .

تقدمت . وتبعتها ولكن لم نتقدم اكثر من عشر خطوات حتى قطع جانيمار علينا الطريق فصحت : آه ، حسنا ... ماالخبر؟

- لحظه أيها السيد ؟ فيم استعجالك .

- اننى ارافق الآنسة .

عاد يقول فى لهجة أخرى : لحظة واحدة .

وحدجنى فى اصرار ثم قال لى وعيناه متسعتان :

- ارسين لوبين ، اليس كذلك .

رحت أضحك : كلا . وانما أنا برنار داند ريزى بكل بساطة .

- برنار داند ريزى مات منذ ثلاث سنوات فى مقدونيا .

- اذا كان برنار داند ريزى قد مات فلن اكون فى عداد الاحياء اذن ، والامر غير ذلك ... هذه اوراقى .

- انما هى اوراقه . أما كيف حصلت عليها فسوف يسرنى ان أخبرك بذلك .

- ولكنك مجنون ! ان ارسين لوبين أبحر متخذا اسما يبدأ بحرف الراء .

- نعم . هذه خدعة أخرى لجأت اليها .. اثر زائف اطلقته . أنت قوى جدا ياصاحبى .

ولكن عجلة الحظ قد خانتك هذه المرة هيا معى.. لاداعى للف والدوران .

ترددت لحظة وفجأة ضربنى على مقدمة ساعدى الايمن فأطلقت صرخة ، فقد ضربنى فوق الجرح الذى لم يندمل بعد والذى أشارت البرقية اليه .

كان لابد لى من الاستسلام عندئذ ، فتحولت نحو مس نيللى وكانت تصغى شاحبة اللون وهى تترنح .

والتقت عيناها بعينى ثم خفضت بصرها نحو آلة التصوير التى اعطيتها اياها وأتت بحركة فجائية . وفجأة خامرنى احساس بأنها ادركت كل شئ . نعم فى تلك الآلة التى بين يديها ، بين جوانبها الصفراء ، وفى جوفها توجد العشرون الف فرنك التى سلبتها من روزين ومجوهرات الليدى جيرلاند .

آه . اقسم اننى فى تلك اللحظة ، بينما كان يحيط بى

جانيمار ورجاله لم اكترث بأى شئ . لا بالقاء القبض على ولابعداء الناس ، ولا بأى شئ فيما عدا القرار الذى ستتخذه مس نيللى بخصوص ماعهدت به إليها .. بذلك الدليل المادى والقاطع الذى لم افكر حتى فى انكاره ، هل تستقر نية نيللى على تقديمه الى جانيمار ؟

هل تغدر بى ، وتكون سبب ضياعى ؟ هل تتصرف كعدوة لاتصفح ، أم كامرأة تتذكر ويتخفف ازدراؤها بشئ من الغفران ؟ وبشئ من الود اللاإرادى ؟

ومرت امامى ، وودعتها باحناءة كبيرة دون أن أنطق . واختلطت بالركاب الآخرين واتجهت نحو العبارة وآلتى الفوتوغرافية فى يدها .

خطر لى انها لاتجرؤ أمام الجمهور دون شك ، وانها سوف تسلمها بعد ساعة او بعد لحظات .

ولكنها ماأن بلغت منتصف العبارة حتى أتت بحركة خرقاء متصنعة تركتها تفلت من يدها وتقع فى الماء ، بين جدار الرصيف وجانب الباخرة .

ثم رأيتها تبتعد .

بقيت جامدا لحظة ، اشعر بحزن وحنان فى نفس الوقت ثم تنهدت مثيرا دهشة جانيمار وتمتمت :

- ان من المؤسف حقا ألايكون المرء شريفا .

هكذا ، ذات ليلة من ليالى الشتاء ، روى الى ارسين لوبين

قصة القاء القبض عليه وشاءت صدفة الاحداث التى سأكتب قصتها ذات يوم ان ترتبط بيننا بصداقة متينة .. نعم ، اجرؤ واعتقد بأن ارسين لوبين يشرفنى بشئ من الصداقة ويأتى بهذه الصفة لزيارتى فجأة ويأتينى فى مكتبى ويبدد الصمت بمرحه الشبابى وباشراقة حياته المضطربة وبطبيعته السمحة التى زودها مصيره بالبسمات والافضال .

صورته ؟ .. كيف أستطيع ان أصفها ؟ اننى رأيت ارسين لوبين عشرين مرة ، وفى كل مرة مختلفا عن المرة السابقة ، او بالاحرى ارى رجلا تبعث عشرون مرآة اشكالا مختلفة له تماما ، لكل منها عينيه بالذات وهيأة وجهه ، وحركته الخاصة وطبعه وقال لى ذات مرة :

- اننى لم أعد أعرف من أنا . اذا نظرت فى المرآة فاننى لاأعرف نفسى .

مزاح وتناقض بالطبع ، ولكنها الحقيقة بالنسبة لمن يلتقون به ويجهلون وسائله العديدة وصبره وفنه فى التنكر وقدرته العجيبة فى التغيير ، حتى ملامح وجهه وقسماته وتبديلها حسبما يريد

وقال لى أيضا : لماذا يكون لى مظهر محدد ؟ ولماذا لاأتجنب هذا الخطر الذى تتسبب فيه شخصية لاتتغير ابدا . يكفينى ان أعمالى تدل على .

وقال موضحا فى شئ من الكبرياء :

- انه لأفضل بكثير ألايقال هذا هو ارسين لوبين ! المهم ان يقال دون الخوف من أى خطأ : ارسين لوبين فعل هذا .

هذه بعض أعماله .. بعض مغامراته التى احاول ان ارويها طبقا لاعترافاته التى تكرم بالافضاء بها الى فى بعض ليالى الشتاء ، بمكتبى .

* * *

٣
فى السجن

ما من سائح جدير بهذا الاسم الا ويعرف شواطئ نهر السين ويلحظ وهو ماض من خرائب جوميبج الى خرائب سان واندريل القصر الاقطاعى الصغير والغريب والمعروف باسم "قصر مالاكيه" وهو قصر قابع بكل أنفة فوق صخرة فى وسط النهر ، يربطه جسر بالطريق ، وأساس ابراجه المعتمة تمتزج بالجرانيت الذى يقع القصر فوقه .. صخرة هائلة لا تدرى من اى جبل انفصلت والقاها زلزال ما فى ذلك المكان . وحول القصر تجرى مياه النهر بين البوص وتحط على قمته الحجرية الرطبة الطيور.

وقصة قصر "مالاكيه" خشنة كاسم صاحبه وفظة كشخصه ، فهى زاخرة بالمعارك والحصارات والهجومات والاغتصاب والنهب والمذابح . ويتذكر اهالى مدينة " كو " وهم يرتجفون الجرائم التى اقترفت فيه ويروون أساطير غريبة ويتكلمون عن النفق المشهور الذى كان يؤدى فيما سبق الى دير جوميبج والى قصر اجنيس سوريل الصديقة الجميلة لشارل السابع .

فى ذلك الوكر القديم للأبطال وقطاع الطرق يقيم البارون ناتان

كا هورن ، البارون شيطان كما كانوا يدعونه فى البورصة فيما سبق حيث اغتنى فجأة بطريقة غريبة . وقد اضطر أصحاب القصر الى أن يبيعوه اليه بكسرة من الخبز . وقد نقل اليه مجموعاته الجميلة من قطع الأثاث التاريخية واللوحات والتحف الصينية وغيرها من الخشب المحفور . ويعيش فيه بمفرده ومعه ثلاثة من الخدم . ولم يدخله أحد أبدا ولم يتأمل أحد فى ديكور القاعات القديمة اللوحات الثلاث التى رسمها روبنيزو التى يملكها ولا لوحتى واتو ولا كرسى جان ، جرجون وغيرها من الروائع التى انتزعها ببعض اوراق البنكنوت من الاثرياء الذين يختلفون الى صالات المزادات .

والبارون شيطان خائف . لا يخاف على نفسه وانما على كنوزه التى جمعها بكل حب وصبر وبذكاء هاو لا يستطيع أدهى التجار واشدهم مكرا أن يفخروا بأنهم تمكنوا من التغلب عليه . وهو يحب تحفه ، ويحبها بشغف كبخيل ،وبغيرة كبيرة كالعاشق.

وفى كل يوم ، عند مغيب الشمس ، تقفل الأبواب الأربعة المزودة بالقضبان الحديدية والتى تؤدى الى طرفى الجسر ومدخل الفناء وتوصد جيدا ، وعند أقل لمسة بها تنطلق الأجراس وتقطع الصمت ومن ناحية السين لا خوف على الاطلاق ، فالصخرة ترتفع عموديا .

ولكن فى يوم جمعة من شهر سبتمبر أقبل ساعى البريد الى رأس الجسر كالعادة . وكالعادة دائما فتح البارون المصراع الثقيل،

وفحص الرجل فى عناية كبيرة كما لو أنه لا يعرفه منذ سنوات ، ذلك الوجه المستدير البشوش وهاتين العينين الساخرتين لفلاح ، وقال له الرجل وهو يضحك :

هذا أنا دائما ياسيدى البارون . لست رجلا آخر يرتدى ثيابى وقبعتى .

وتمتم كاهورن يقول : ومن يدرينى ؟

وأعطاه الساعى حزمة من الجرائد ثم اردف :

وهناك شئ جديد ياسيدى البارون .

شئ جديد ؟

رسالة ومسجلة أيضا .

كان البارون يعيش منعزلا ولا يهتم به أحد على الاطلاق ولا يتلقى رسائل من أحد وقد بدأ له الأمر على الفور فألا سيئا يثير الانزعاج من ذلك الراسل الغامض الذى جاء يطارده فى عزلته ؟

يجب ان توقع ياسيدى البارون .

وقع على الايصال وهو يتذمر . وأخذ الرسالة ، وانتظر حتى يختفى الساعى وبعد ان سار بضع خطوات جيئة وذهابا اعتمد على سور الجسر وقص الخطاب . كان يحتوى على ورقة بيضاء مكتوب على رأسها " سجن السانتيه بباريس " وألقى نظرة الى التوقيع : ارسين لوبين

وتملكته الدهشة وقرأ "

" سيدى البارون "

" يوجد فى الممر الذى يجمع بين قاعتيك لوحة لفيليب دى شامبانى ، وهى لوحة رائعة تروق لى كثيرا . ولوحات روبنز تروق لى هى الأخرى وكذلك لوحة واتو الصغيرة وفى القاعة التى الى اليمين توجد منضدة من طراز لويس الثالث عشر وسجادات بوفيه وخوان من طراز أمبير بتوقيع يعقوب وخزانة للثياب من عهد النهضة . وفى القاعة التى الى اليسار فترينة تحتوى على المجوهرات والمثمنات .

سأكتفى هذه المرة بهذه الأشياء ، وهى أشياء اعتقد ان من السهل تصريفها ، ولهذا أرجوك ان تحزمها جيدا وأن ترسلها باسمى خالصة الرسوم الى محطة باتنيول قبل ثمانية أيام .. والا فسوف اتولى انا نفسى نقلها فى ليلة الاربعاء ٢٧ سبتمبر . وكما تعرف لن اكتفى عندئذ بالاشياء التى ذكرتها .

وارجو ان تلتمس لى العذر لهذه المضايقة الصغيرة التى اتسبب فيها لك وأن تتقبل خالص تحياتى واحتراماتى .

ارسين لوبين

" ملحوظة " لا ترسل لى على الأخص لوحة واتو الكبيرة ، فمع انك دفعت فيها ثلاثين الف فرنك الا انها ليست الا لوحة زائفة ، واللوحة الاصلية احترقت فى عهد الثورة ، احرقها باراس فى احدى سهراته الواعرة . راجع مذكرات جارا الحديثة .

ولا أعبأ كذلك بلوحة سيدة القصر فى عهد لويس الخامس

عشر لأننى أشك فى صحتها .

انزعج هذا الخطاب البارون كالهورن . لو أن أى أحد آخر وقعه لاثار اضطرابه فى الحال والراسل هو أرسين لوبين .

كان يقرأ الصحف بانتظام وعلى علم بكل ما يحدث فى العالم فيما يتعلق بالسرقة والجريمة . ولم يكن يجهل شيئا من مغامرات اللص الجهنمى انه يعرف طبعا ان ارسين لوبين قد القى عدوه اللدوه جانيمار القبض عليه فى امريكا ، وانه مسجون فى انتظار نظر قضيته ، ولكنه يعرف ايضا ما يمكن ان يتوقعه من ناحيته . ثم ان معرفته الدقيقة بالقصر وبأماكن اللوحات، وقطع الأثاث لها دلالة خطيرة . فمن الذى أطلعه على تلك الأشياء التى لم يرها أحد .

رفع البارون عينيه وتأمل منظر القصر المخيف وقاعدته الوعرة والماء العميق الذى يحيط بها وهز كتفيه . كلا . ليس هناك أى خطر بالتأكيد لا أحد فى العالم يستطيع التغلغل حتى مجموعاته المنيعة .

لا أحد ، ليكن . ولكن ارسين لوبين ؟ هل هناك أبواب أو جسور أو أسوار تستغلق على ارسين لوبين . فيم تنفع اشد العوائق استحالة واكثر الاحتياطات مكرا اذا ما قرر أرسين لوبين بلوغ هدفه .

وفى نفس الليلة كتب الى النائب العام بمدينة روين ، وأرسل خطاب التهديد وناشده الحماية والمساعدة .

ولم يتأخر الرد . فان المدعو ارسين لوبين مسجون الآن فى سجن السانتيه وعليه رقابة مشددة ويستحيل عليه ان يكتب ولا يمكن ان يكون الخطاب الا من مخادع ، وكل شئ يدل على ذلك ، المنطق والعقل وحقائق الحياة . ومع ذلك ، وزيادة فى الحرص فقد عرضوا الخطاب على خبير فى الخطوط وصرح الخبير بان ذلك الخط ، رغم بعض التشابه ليس بخط السجين .

" رغم بعض التشابه " لم ير البارون غير هذه الكلمات الثلاث التى تحوى شكا ، وهذا الشك وحده كان يكفى لكى تتدخل العدالة . وازدادت مخاوفه وراح يقرأ الخطاب ويعيد قراءته المرة بعد الأخرى ثم قال يحدث نفسه : سأقوم أنا نفسى بنقل تلك الأشياء الى مكان آخر . وذلك التاريخ المحدد : ليل الاربعاء ٢٧ سبتمبر .

وفى تشككه وصمته لم يجرؤ على طلب المساعدة من خدمه ولم يضمن اخلاصهم ولكنه مع ذلك احس لأول مرة فى حياته بحاجته الى ان يتكلم وان يغلب النصح والمشورة فالآن وقد تخلت عنه عدالة بلده لم يعد يأمل ان يدافع عن نفسه بوسائله الخاصة واوشك ان يمضى الى باريس لينشد معونة بعض قدماء رجال البوليس .

وانقضى يومان . وفى اليوم الثالث أخذته رعدة من الفرح وهو يقرأ الجرائد ، فقد نشرت إحداها الخبر التالى .

" يسرنا أن ننهى الى قرائنا أن المفتش العام جانيمار يقيم بين

جدراننا منذ ثلاثة أسابيع . وهو كما يعرف القراء الذى القى القبض على اللص المشهور ارسين لوبين وقد جاء الى بلدتنا للاستجمام وصيد السمك . "

جانيمار ! هذا هو بالحق المساعد الذى يبحث عنه البارون كالهورن فمن يعرف كيف يحبط خطط لوبين خيرا من جانيمار .

لبعد عدة محاولات لغير مثمرة لمعرفة عنوان جانيمار مضى الى مكاتب الجريدة التى نشرت الخبر والواقعة على شاطئ البحر.ووجد المحرر الذى نشر الخبر ، وقال له هذا الأخير :

– جانيمار ! .. ولكنك ستجده بالتأكيد على الشاطئ وفى يده السنارة . اننا تقابلنا هناك ، وهناك رأيت اسمه محفورا على سنارته . انظر ، انه ذلك العجوز الذى تراه هناك تحت أشجار المنتزه .

– ذلك الذى يرتدى السترة الطويلة والقبعة القش .

– تماما . انه رجل غريب الأطوار . لا يحب الحديث وخشن الطباع .

وبعد خمس دقائق كان البارون يقترب من جانيمار المشهور ويقدم نفسه اليه ويحاول أن يتبادل معه الحديث . واذ لم يستطع واجه الأمر بصراحة وعرض عليه حالته .

واصغى اليه الآخر دون ان يفارق بعينيه السمكة التى يترصدها ، ثم حول رأسه اليه وحدجه من اخمص قدميه حتى اعلا رأسه فى رثاء كبير وقال :

- سيدى . ليس من العادة انذار الناس بانهم يتعرضون للسرقة . وارسين لوبين على الأخص لا يقدم على مثل هذه الهفوة.

- ومع ذلك ؟ .

- صدقنى ياسيدى انه لو ان لدى أقل شك لأقدمت بكل سرور على القاء القبض على ذلك اللص . ولكن سوء الحظ ان ذلك الشاب سجين فى زنزانته .

- واذا هرب ؟

- لا أحد يستطيع الهروب من سجن السانتيه

- ولكن هو .

- هو اكثر من أى شخص آخر .

- ومع ذلك .

- حسنا ، اذا هرب فذلك افضل لأننى سوف القى القبض عليه ثانية وفى الأنتظار يمكنك ان تنام على أذنيك الاثنتين وألا تتسبب فى خوف هذه السمكة مرة أخرى .

وبذلك انتهى الحديث . وعاد البارون الى بيته وقد داخله الاطمئنان شيئا ما بعدم مبالاة جانيمار . وفحص الأقفال وتجسس على الخدم ومرت ثمانى واربعون ساعة أخرى تأكد فيها تقريبا من ان مخاوفه كانت وهمية . كلا ما من لص ينذر الناس بأنه سيسرقهم ، كما قال جانيمار .

واقترب التاريخ . وفى صباح يوم الثلاثاء ، اى قبل اليوم

السابع والعشرين لا شئ خاص . ولكن أقبل صبى فى الساعة الثالثة ومعه برقية :

" لم يأت اى طرد الى محطة باتنيول ، فاستعد لمساء الغد ، ارسين "

وتملكه الذعر والرعب الى حد أنه راح يتساءل هل يذعن لمطالب ارسين لوبين .

وأسرع الى الشاطئ ، وكان جانيمار يصطاد فى نفس المكان وناوله البرقية دون ان ينبس بكلمة .

وخاطبه المفتش قائلا : وبعد ؟

– وبعد ؟ .. ولكن سيكون ذلك غدا ؟

– ماذا تعنى .

– السرقة .. سرقة مجموعاتى !

القى جانيمار سنارته وتحول اليه وعقد ذراعيه فوق صدره وصاح فى فروغ صبر :

– آه .. هل تتصور اننى سأهتم بقصة سخيفة كهذه ؟

– ما التعويض الذى تطلبه نظير قضاء ليلة الغد في قصرى؟

– ولا صلدى واحد .. اغرب عن وجهى .

– حدد ثمنك . اننى ثرى .. ثرى جدا .

أثارت فظاظة العرض حيرة جانيمار وقال فى صوت اكثر هدوءا :

– انا هنا فى اجازة ولا يحق لى التدخل فى .

- لن يعرف أحد ذلك . اننى أتعهد بالتزام الصمت مهما يحدث .

- اوه . لن يحدث شئ .

- حسنا . مارأيك فى ثلاثة آلاف فرنك ؟ .. ايكفيك هذا ؟

أخذ جاتيمار نفسا من سيجارته وفكر لحظة ثم قال :

- ليكن . ولكن يجب ان اعترف لك بكل اخلاص انك تبدد نقودك .

- هذا سيان لدى .

- فى هذه الحالة .. ولكن مع ذلك ، هل يمكن ان نطمئن مع هذا الشيطان لوبين . لاريب ان تحت اوامره عصابة منظمة . هل أنت واثق من خدمك ؟

- الحق ..

- من نعتمد عليهم اذن .. سأتصل بالبرق برجلين من أصدقائى .وسوف نكون فى أمان تام . انصرف الآن فلا يجب أن يرانا أحد معا الى الغد ، فى نحو الساعة التاسعة .

***

وفى اليوم التالى ، وهو الموعد الذى حدده ارسين لوبين . تزود بأسلحته وتجول حول القصر ، ولم تثر ريبته أى شئ .

وفى الساعة الثامنة والنصف مساء صرف خدمه . وكانوا يقيمون فى جناح أمام الطريق ، ولكن فى مكان منعزل وفى آخر

القصر . واذ أصبح بمفرده فتح الأبواب الاربعة فى هدوء . وبعد لحظة سمع خطوات تقترب . قدم جانيمار اليه مساعديه ، وهما رجلان شديدان عنق كل منهما اشبه بعنق الثور وضخم اليدين ثم طلب بعض التفسيرات . واذ تحقق من موقع الاماكن اغلق بعناية كل الأبواب واوصدها تماما وكذلك المنافذ التى تؤدى الى القاعتين المهددتين . وفحص الجدران ورفع السجاجيد ، ثم وضع الرجلين فى الممر الرئيسى وقال :

- توخيا الحرص فلم نأت هنا للنوم . عند اقل بادرة خطر افتحا النوافذ واستنجدا بى . واهتما ايضا من ناحية الماء .

وأغلق البابين عليهما وأخذ المفاتيح وقال يخاطب البارون :

- والآن ، ليتول كل منا مكان حراسته .

كان قد اختار ، لقضاء الليل ، غرفة صغيرة محفورة فى الجدران السميكة بين البابين الرئيسيين ، وكانت فيما سبق غرفة البواب ، بها فتحة تطل على الجسر واخرى على الفناء ، ويظهر فى ركن منها فوهة كفوهة البئر .

- قلت لى ياسيدى البارون ان هذا البئر هو المدخل الوحيد للنفق وانه مسدود منذ زمن بعيد .

- نعم .

- اذن مالم يوجد مدخل آخر لا يعرفه الجميع فيما عدا ارسين لوبين وهو أمر يبدو وغير معقول ، فاننا مطمئنان تماما .

وصف ثلاثة مقاعد وتمدد فوقها بكل ارتياح وأشعل غليونه

وتنهد :

- الحق ياسيدى البارون لابد لى من إضافة طابق الى البيت الذى يجب ان اقضى فيه ايامى الأخيرة لكى اقبل مهمة بسيطة كهذه . سأروى القصة الى الصديق لوبين ، وسوف يضحك بملء فمه .

لم يضحك البارون ، بل كان يصغى ويسأل الصمت فى جزع زائد ، وينحنى من وقت لآخر فوق هوة البئر ويحدق فى جوفها فى قلق .

ودقت الساعة احدى عشرة دقة ، ثم منتصف الليل ، ثم الساعة الواحدة .

وفجأة امسك بذراع جانيماراالذى استيقظ مذعورا ، وقال لـه :

- هل تسمع ؟
- نعم .
- ماهذا ؟
- انا الذى اغط اثناء نومى .
- ولكننى لا اعنى هذا .. اسمع .
- آه . هذا صحيح . هذا صوت سيارة .
- آه . حسنا ؟

- حسنا . انه لاحتمال ضعيف فى ان يستخدم لوبين سيارة لكى يحطم بها قصرك . ولهذا أرجوك ان تنام ياسيدى البارون .

من ناحيتى أنا سأنام من جديد . طابت ليلتك .

* * *

كان هذا هو الحدث الوحيد ، واستطاع ان يعاود نومه الذى انقطع ولم يعد البارون يسمع غير صوت غطيطه المدوى والمنتظم..

وعندما طلع النهار خرجا من زنزانتهما . وكان السلام الهادئ ، سلام الصباح على شاطئ الماء الرطب يحيط بالقصر . وكان هورن مشرق الوجه وجانيمار لا يزال على هدوئه . وصعدا السلم . لم تكن هناك اية حركة ولا اى شئ يثير الاشتباه .

- ماذا قلت لك ياسيدى البارون ؟.. ما كان يجب ان اقبل فى الواقع .. اننى لأشعر بالخجل .

وأخذ المفاتيح ودخل الممر .

كان الشرطيان راقدين فوق مقعدين ، منحنيين ويداهما متدليتين .

وصاح المفتش : ياللشيطان !

وفى نفس اللحظة أطلق البارون صرخة :

- اللوحات .. الجوان ..

راح يتمتم وهو يكاد يختنق ويده ممدودة نحو القاعتين الشاغرتين ونحو الجدران التى تجردت من اللوحات ولم تعد بها غير المسامير وقد تدلت منها حبال لا جدوى منها . اختفت لوحة

واتو ولوحات روبينز واختفت السجاجيد التى كانت معلقة وافرغت الفترينات من مجوهراتها .

- والشمعدانات من طراز لويس السادس عشر .. وشمعدان نائب الملك ، ولوحة عذراء القرن الثانى عشر .

وراح ينتقل من مكان الى الآخر مذعورا ومرعوبا ويائسا . وراح يذكر المبالغ الخيالية التى دفعها فيها ويحصى خسائره ويجمع ارقامه بلا نظام فى كلمات مشوشة وعبارات غير مكتملة

وراح يضرب الأرض بقدميه ويرتعش لفرط الغضب والألم . كان يبدو كما لو أصابه الدمار ولم يعد أمامه الا ان ينتحر .

ولو ان شيئا كان يمكن ان يواسيه لكان رؤيته لذهول جانيمار ودهشته . كان المفتش ، على النقيض من البارون قد تجمد مكانه ويبدو مصعوقا ويحدق فى الاماكن فى ذهول .. النوافذ ؟ موصدة . اقفال الابواب ، صحيحة لم يقربها أحد . لا ثغرة فى السقف ، ولا ثقب فى الأرضية . كان النظام تاما . كل ذلك تم تنفيذه بنظام تام .. وطبقا لخطة خفية ومنطقية ، وتمتم منهارا :

- ارسين لوبين .. ارسين لوبين .

وفجأة انقض على الشرطين ، كما لو ان الغضب قد هزه فجأة والقى بهما فوق الأرض فى غيظ وهو يلعنهما ويسبهما . ولكنهما لم يستيقظا .

وقال :

- يا للشيطان .. هل يمكن أن .

وانحنى فوقهما وفحص كلا منهما فى اهتمام كبير . كانا ينامان ، ولكن نوما غير طبيعى . وقال للبارون :

- لقد اعطيا منوما .

- ولكن من ؟

- هو بالطبع .. او عصابته .. بأمر منه طبعا ، فهذه طريقته .

- اذا كان الأمر كذلك فقد ضعت .. ليس هناك ما يمكن عمله .

- هو ذلك .

- ولكن هذا فظيع .. وبشع .

- قدم شكوى .

- وما الجدوى ؟

- عجبا .. لابد من المحاولة .. ان للعدالة وسائلها .

- العدالة ! .. ولكنك ترى بنفسك .. فأنت مثلا حيث يمكنك ان تجد أثرا أو ان تكتشف شيئا ما .. ، لا تأتى بأية حركة .

- اكتشاف شئ مع ارسين لوبين .. ولكنك يا صديقى العزيز.. ان ارسين لوبين لا يترك وراءه شيئا على الاطلاق . ليست هناك أية فرصة مع ارسين لوبين . واننى لأتساءل اذا لم يكن قد تركنى القى عليه القبض فى امريكا عن عمد .

- الأن .. يجب ان اتخلى عن لوحاتى ، وعن كل شئ .. ولكنها درر مجموعاتى التى سلبنى اياها . اننى لأمنح ثروة

لاستردادها . اذا لم يكن ـن الممكن عمل شئ ضده فليذكر المبلغ الذى يريد .

نظر جانيمار اليه فى حدة وقال :

- هذا قول أحمق . الن ترجع عنه ؟

- كلا ، كلا ، كلا . ولكن لماذا ؟

- انها فكرة طرأت لى .

- اية فكرة .

- سنتكلم عنها اذا لم يسفر التحقيق عن شئ . ولكن اياك وان تذكر كلمة واحدة عنى اذا أردت ان أنجح .

واردف يقول من بين أسنانه :

- ثم ليس هناك ما يدعونى الى الفخر فى الواقع .

واسترد الشرطيان وعيهما شيئا فشيئا بذلك الذهول الذى يحس به كل من ينام تنويما مغناطيسيا . فتحا أعينهما مشدوهين، وحاولا ان يفهما . وعندما استجوبهما جانيمار لم يتذكرا أى شئ .

- ومع ذلك فلابد انكما رأيتما أحدا .

- كلا .

- تذكرا جيدا .

- كلا ، كلا .

- ألم تتناولا شرابا ؟

فكرا وأجاب أحدهما : شربت أنا قليلا من الماء .

– من هذا الدورق ؟

– نعم .

وقال الآخر : وأنا أيضا .

وتشمم جانيمار الماء وتذوقه . لم يكن له مذاق خاص ولا أية رائحة فقال :

– اننا نضيع وقتنا . لا نستطيع ان نحلو المشاكل التى يقدمها لنا ارسين لوبين فى خمس دقائق . ولكن بحق الشيطان.. اقسم اننى سوف أهزمه . انه كسب الجولة الثانية . وسوف تكون الجولة الأخيرة لى .

وفى نفس اليوم قدم البارون كاهورن شكوى بالسرقة ضد ارسين لوبين السجين فى سجن السانتيه .

* * *

كثيرا ماندم البارون على تقديمه تلك الشكوى وهو يرى الشرطة تطأ قصره هم ووكيل النيابة وقاضى التحقيق والصحفيون وجميع الفضوليين الذين يتغلغون فى كل مكان لا يجب أن يتواجدوا فيه .

وهيجت القضية الرأى العام ، فقد حدثت فى ظروف غريبة جدا ، وأثار اسم ارسين لوبين الخيال الى حد أن اكثر المؤرخين خيالا راحوا يحشدون أعمدة الجرائد ويجدون اقبالا من الجمهور .

ولكن رسالة ارسين لوبين الاولى ، وقد نشرتها جريدة ايكو

دى فرانس ولا يدرى أحد من الذى بعث بها اليها ، تلك الرسالة التى أنذرت البارون كاهورن بكل وقاحة عما يتهدده تسببت فى انفعال شديد . وعلى الفور طرحت تفسيرات خيالية ، وتكلموا عن وجود الأنفاق الأرضية المشهورة ، ورأت النيابة عندئذ مواصلة ابحاثها فى ذلك الاتجاه .

فتشوا القصر من اعلاه الى أسفله ، وسألوا كل حجرة من أحجاره وفحصوا التركيبات الخشبية ، ومداخنه ، واطارات المرايا وكمرات الأسقف ، وفحصوا ، على أشعة المشاعل السراديب الشاسعة حيث كان اصحاب القصر يكدسون فيها فى الماضى ذخيرتهم ومؤوناتهم . وكان كل ذلك دون جدوى فلم يسفر فحصهم عن أى شئ ، ولم يجدوا أى ممر سرى .

وقيل فى كل مكان : ليكن . ولكن قطع الأثاث واللوحات لا تتبخر كالاشباح ، وانما تنتقل عبر الأبواب والنوافذ ،والناس الذين ينقلونها يدخلون ويخرجون من الابواب والنوافذ كذلك فمن هم هؤلاء الناس ، وكيف دخلوا ، وكيف خرجوا ؟

واذ أقرت نيابة روين بعجزها طلبت مساعدة المسئولين بباريس وارسل مسيو ديبوا ، رئيس البوليس أمهر رجاله . ومضى هو نفسه الى قصر مالاكيه وقضى فيه يومين ، ولم يفلح هو الآخر .

وعندئذ طلب المفتش العام جانيمار وكان قد قدر خدماته فى كثير من الظروف .

وأصغى جانيمار فى صمت الى تعليمات رئيسه ثم هز رأسه

وقال :

- اظن انكم لاتنهجون النهج الصحيح بتفتيشكم القصر . ان الحل في مكان آخر .

- واين اذن ؟

- مع أرسين لوبين .

- مع ارسين لوبين ؟ اذا افترضنا ذلك فمعناه انه هو الذى سرق .

- انني افترض ذلك ، بل اكثر من هذا ، أعتقد ذلك .

- ولكن هذا سخف يا جانيمار . ان ارسين لوبين فى السجن

- ارسين لوبين فى السجن .. ليكن . وهو مراقب وأنا اسلم بذلك . ولو أن الحديد فى قدميه والاصفاد فى يديه وكمامة فوق فمه ، فانني لن أغير رأيى .

- ولماذا هذا الاصرار .

- لأن ارسين لوبين وحده هو الذى يستطيع تدبير سرقة من هذا النوع ، وبطريقة لا تفشل .. كما حدث .

- مجرد كلمات يا جانيمار .

- ولكنها حقائق . وكفاكم البحث عن أنفاق وسراديب ، وعن صخور تدور فوق محاور وهذر من هذا النوع . ان صاحبنا لا يستخدم وسائل أصبحت قديمة فهو من عالم اليوم أو بالحرى من عالم الغد .

- واستنتاجك ؟

- استنتاجى هو أننى اطلب بالذات الاذن بقضاء ساعة معه

- فى زنزانته ؟

- نعم . ففى اثناء عودتنا من امريكا تبادلنا أحاديث طيبة أثناء الرحلة البحرية . وكان يقول انه يشعر ببعض الود نحو الرجل الذى القى القبض عليه . واذا استطاع ان يفيدنى من غير ان يورط نفسه فلن يتردد فى تجنيبى رحلة لا فائدة منها .

***

ادخل جانيمار الى زنزانة ارسين لوبين بعد الظهر بقليل . وكان هذا الأخير مستلقيا فوق فراشه ، فرفع رأسه واطلق صيحة فرح وقال :

- آه .. هذه مفاجأة حقا .. هذا العزيز جانيمار هنا !

- هو بنفسه .

- اردت أشياء كثيرة فى العزلة التى اخترتها .. ولكن لا شئ يسرنى اكثر من رؤيتك .

- هذا كرم كبير منك .

- ابدا .. ابدا .. فاننى أقدرك حق قدرك .

- وانا فخور بذلك .

- دائما ما كنت أقول : جانيمار أفضل مفتش بوليس .. بل انه يكاد يكون أفضل من شرلوك هولمز .. ها أنت ترى مدى صراحتى . ولكن الحق انه يحزننى أننى لا أستطيع أن أقدم لك

غير هذا المقعد . ولا أستطيع ان أقدم لك مرطبا .. أو كأسا من البيرة ، فأرجو أن تقدر موقفى .

جلس جانيمار وهو يبتسم ، واستطرد السجين يقول وقد اسعده ان يتكلم :

– ما أشد سعادتى بأن اريح عينى برؤية رجل شريف . لقد لقيت كفايتى من كل وجوه الجواسيس والنمامين والوشاة الذين يأتون عشر مرات فى اليوم لتفتيش جيوبى وزنزانتى الصغيرة للتأكد من اننى لا أعد العدة للهرب . وان من العجيب ان الحكومة تتمسك بى .

– انها على حق .

– ولكن لا .. اننى لأكون سعيدا لو تركونى أعيش فى ركنى الصغير .

– بأموال الغير ؟

– ولم لا . انه لشئ بسيط . ولكننى اثرثر وانطلق بحماقات وأنت على عجل من أمرك لاريب . فلنمض الى الموضوع يا جانيمار . ما سبب تشريفى بزيارتك ؟

قال جانيمار دون لف أو دوران : قضية كاهورن !

– مهلا لحظة .. ذلك اننى مشغول بقضايا كثيرة ! .. فلأجد أولا فى ذهنى ملف قضية كاهورن . آه .. تذكرت .. قضية كاهورن ، قصر مالاكيه على نهر السين .. لوحتان لروبنز وواحدة لواتو وبضعة أشياء أخرى تافهة :

- تافهة .
- اوه . لعمرى انها ليست بذات قيمة تذكر ، فهناك أفضل منها ولكن يكفى ان تثير القضية اهتمامك .. تكلم اذن يا جانيمار .
- هل يجب ان أقول لك الى اين وصل بنا التحقيق ؟
- لا داعى فقد قرأت جرائد الصباح ، وسأسمح لنفسى بان أقول لك انكم لا تتقدمون كثيرا .
- هذا بالذات هو السبب الذى حملنى على أن الجأ لكرمك .
- اننى فى خدمتك تماما .
- قل لى اولا : هل أنت الذى دبرت هذه العملية ؟
- من الألف الى الياء .
- رسالة الانذار ؟ .. والبرقية ؟
- من تدبير خادمك .. ولدى فى مكان ما الايصالان .
وفتح ارسين درجا بمكتب صغير من الخشب الأبيض هو والفراش والمقعد كل ما فى الزنزانة من الأثاث ، وأخذ منه ورقتين مكورتين ناولهما لجانيمار فصاح هذا الأخير :
- آه . ولكننى كنت أظن انهم يراقبونك مراقبة دقيقة ويفتشونك لأقل سبب . وأراك تقرأ الجرائد وتجمع إيصالات البريد .
- آه ! ان هؤلاء الناس أغبياء جدا . انهم يفكون بطانة سترتى ويفحصون كعوب أحذيتى ، ويتحسسون جدران الزنزانة

ولكن ما كان ليخطر بذهن أحد منهم ان ارسين لوبين من الغباء بحيث يختار مخبأ سهلا كهذا . وقد اعتمدت على هذه النقطة بالذات.

ضحك جانيمار وقال : انك شاب غريب الأطوار وانك لتثير حيرتى . هلم وارولى المغامرة .

- اوه ، اوه .رويدك ! ..أتريد ان اكشف لك عن أسراري! .. ان هذا الأمر خطير .

- هل أخطأت باعتمادى على كرمك .

- كلا يا جانيمار ، وما دمت تصر .

وسار لوبين فى زنزانته جيئة وذهابا مرتين أو ثلاثا ثم قال :

- ما رأيك في خطابى للبارون ؟

- انك أردت اللهو وابهار الناس بعض الشئ .

- آه ، هو ذلك . ابهار الناس ! حسنا . اؤكد لك يا جانيمار اننى كنت اظنك اذكى من ذلك ! هل أقنع بمثل هذه التفاهات ، أنا ارسين لوبين ؟ اكنت اكتب ذلك الخطاب لو أننى استطعت ان اسلب البارون من غير أن اكتب اليه . ولكن عليك ان تفهم أنت وغيرك ان ذلك الخطاب كان نقطة البداية التى لابد منها ، والمحرك الذى أدار الآلة لكى تبدأ المسيرة . ولكن دعنا نعمل بنظام ونعد معا ، اذا اردت ، سرقة قصر مالاكيه .

- اننى مصغ اليك .

- لنفترض اذن قصرا مغلقا بكل دقة وموصدا كقصر البارون

كاهورن ، هل أترك الأمر وأتخلى عن الكنوز التى أطمع فيها بحجة أن القصر الذى يحتويها منيع ؟

- بالطبع لا .

- هل أبدأ الهجوم على رأس فرقة من المغامرين كما كان يحدث فى الماضى ؟

- هذا أمر صبيانى .

- وهل أتسلل الى القصر خلسة ؟

- هذا محال .

- تبقى وسيلة وهى الوسيلة الوحيدة فى رأيى ، وهى ان أحمل صاحب القصر على أن يدعونى لزيارته .

- حيلة طريفة .

- وسهلة جدا . لنفرض ان صاحب القصر المذكور يتلقى خطابا ،إنذارا بما يدبره المدعو أرسين لوبين اللص المشهور ضده . فماذا يفعل ؟

- يرسل الخطاب الى النائب العام .

- وسيسخر منه لأن المدعو لوبين فى السجن فى الوقت الحالى . وعليه يستولى الذعر على صاحبنا وينشد مساعدة من يراه تحت يده .

- لا شك في ذلك .

- واذا حدث وقرأ فى إحدى الجرائد المحلية أن مفتش بوليس مشهورا يستجم فى نفس المدينة ؟

- سيمضى ويلجأ الى ذلك المفتش .

- ها أنت قد قلت ذلك . ولكن لنفرض من ناحية أخرى ان يلجأ صاحبنا أرسين لوبين الى صديق له من اذكى اصدقائه ويرجوه أن يقيم فى تلك المدينة وان يتصادق مع أحد محررى الجريدة المحلية لتلك المدينة وهى جريدة يشترك فيها البارون وان يذكر ذلك المحرر ان صديقه مفتش مشهور فماذا يحدث ؟

- سينشر المحرر فى الجريدة المذكورة وجود المفتش فى المدينة.

- تماما . ويحدث عندئذ أحد أمرين . اما ان تعلق السمكة ، واعنى بها كالهورن فى الفخ واما ألا يقع شئ . واما ، وهذه هى النظرية الاكثر احتمالا ، ان يسرع وهو يرتعش . وها هو ذا صاحبنا كالهورن يلتمس من احد اصدقائى ان يحميه منى .

- هذا أمر ظريف حقا !

- ومن المفهوم طبعا ان يرفض مفتش البوليس المزعوم طلبه فى البداية ، وعلى أثر ذلك برقية من أرسين لوبين تثير ذعر البارون ويتوسل الى صديقى من جديد ويعرض عليه مبلغا خياليا لكى يمد له يد العون ويقبل الصديق المذكور ، ويأتى برجلين من رجال عصابتنا ينقلان ليلا ، والبارون تحت رقابة حاميه ، عبر النافذة بعض الأشياء ويتركانها تتدلى بواسطة حبال الى زورق صغير استؤجر لهذا الغرض . وهذا سهل للغاية .

صاح جانيمار : وهذا رائع بكل سذاجة ، ولا يسعنى الا اطراء

الجرأة التى تم بها تدبير وتنفيذ هذه العملية . ولكننى لا أرى أن هناك مفتش بوليس له من الشهرة ما يدفع البارون الى الوثوق به الى ذلك الحد .

- الحق انه ليس هناك غير مفتش واحد يحظى بهذه الصفة .

- ومن هو ؟

- هو العدو اللدود لأرسين لوبين ، وأعنى به المفتش جانيمار.

* * *

- أنا ؟

- أنت نفسك يا جانيمار . ولو ذهبت هناك واستقر عزم البارون على الكلام فستجد أن من واجبك أن تلقى القبض على نفسك كما القيت القبض على فى امريكا . آه . انه لانتقام مضحك حقا : فاننى احمل جانيمار على ان يلقى القبض على جانيمار .

وراح ارسين لوبين يضحك من قبل خلى . وعض المفتش شفتيه فى غيظ ، فقد بدا له ان الدعابة لا تستحق كل هذا المرح.

وأعطاه قدوم أحد الحراس الفرصة لكى يسترد هدوءه ، فقد اتى الرجل بوجبة الطعام التى طلبها ارسين لوبين بامتياز خاص من المطعم المجاور . وبعد ان القى الصينية فوق المنضدة انصرف .

وجلس ارسين لوبين وقطع الرغيف وتناول منه قضمتين أو ثلاثا ثم استطرد يقول :

- ولكن لك ان تطمئن يا عزيزى جانيمار فانك لن تذهب هناك . سأكشف لك امرا سوف يثير دهشتك . ان قضية كاهورن توشك أن تحفظ .

- ماذا ؟

- اقول لك انها توشك أن تحفظ .

- ما هذا الهذر !. اننى قادم لتوى من قبل رئيس البوليس .

- وبعد ؟ .. وهل يعرف مسيو ديبوا اكثر منى فيما يتعلق بى سوف تعلم يا جانيمار ، وأرجو ان تعذرنى ، ان المزعوم جانيمار بقى على علاقات طيبة مع البارون ، وهذا الأخير قد كلفه بمهمة دقيقة وهى أن يتفاوض معى فى استرداد المسروقات نظير مبلغ معين ، وهذا هو السبب الرئيسى فى انه لم يعترف بشىء ، ومن المحتمل ان البارون استعاد كنوزه الثمينة وسوف يسحب شكواه نظير ذلك . وعليه فليست هناك سرقة ويجب أن تتخلى النيابة عن القضية .

تأمل جانيمار السجين فى شئ من الدهشة وقال :

- وكيف عرفت كل هذا ؟

- ذلك اننى تلقيت الآن البرقية التى كنت انتظرها .

- تلقيت برقية .

- فى هذه اللحظة بالذات يا صديقى العزيز . لم أشأ أن

اقرأها أمامك . ولكن اذا سمحت لى .

- هل تهزأ بى يالوبين ؟

- تكرم ياصديقى العزيز بكسر هذه البيضة بكل رفق ، سوف تتحقق انت نفسك اننى لا أهزأ بك .

اطاع جانيمار فى حركة آلية وكسر البيضة بحد سكين . وافلتت منه صيحة ، فقد كانت البيضة فارغة ولا تحتوى الا على ورقة زرقاء .واستجابة للوبين فضها . كانت عبارة عن برقية او بالاحرى جزء من برقية انتزع منها اشارات البريد . وقرأ .

"تم الاتفاق . تسلمنا مائة الف ورقة . كل شئ على مايرام".

وقال : مائة الف ورقة ؟

- نعم مائة الف فرنك . هذا قليل ، ولكن الأيام قاسية ولدى نفقات باهظة . لو تعلم ضخامة ميزانيتى.. ميزانية مدينة كبيرة .

نهض جانيمار تبخر غيظه ، وفكر بضع لحظات وهو يقلب الموضوع كله فى ذهنه محاولا أن يكتشف فيها نقطة ضعف ثم قال بلهجة تنم عن اعجابه كرجل خبير :

- من حسن الحظ انه لا يوجد عشرة رجال مثلك والا لاضطررنا الى أن نتوقف عن العمل .

تظاهر ارسين لوبين بالتواضع وهو يقول :

- ياه . كان لابد لى ان الهو قليلا وان أشغل وقتى .. ثم ان المسألة ما كانت لتفلح الا اذا كنت سجينا .

هتف جانيمار : كيف ذلك . الا تكفى القضية ودفاعك والتحقيق .. الا يكفيك كل ذلك لكى تلهو ؟
- كلا . لاننى نويت ألا أحضر محاكمتى .
- ماذا تقول .
وعاد لوبين يقول فى هدوء :
- لن اكون موجودا أثناء محاكمتى .
- حقا ؟
- آه . أتظن اننى سأبقى هنا ، أتعفن فوق التبن الرطب . أنك تهينني . ان أرسين لوبين لا يبقى فى السجن الا الوقت الذى يحلو له أن يبقى فيه ، ولا دقيقة واحدة اكثر .
عارضه المفتش بلهجة ساخرة :
- ربما كان من الحرص ألا تبدأ بالدخول اليه .
- آه . أتسخر ؟ وهل نسيت انك تشرفت بالقاء القبض على؟ اعلم ياصديقى العزيز أنه ما كان باستطاعة أحد ، حتى أنت بالذات ، ان يمد يده على الا اذا كانت لدى مصلحة كبيرة فى ان يقع ذلك فى لحظة من اللحظات .
- انك تثير دهشتى .
- كانت هناك امرأة تنظر الى يا جانيمار ، وكنت أحبها . وعليك ان تفهم معنى أن امرأة تحبك تنظر اليك ، وأقسم لك ان الباقى لم يهمنى كثيرا ، وهذا هو السبب فى اننى هنا .
- اسمح لى أن أقول منذ وقت طويل .

- اردت ان أنسى فى البداية . لاتضحك . كانت المغامره ظريفة ولا أزال أحتفظ بذكراها الرقيقة .. ثم اننى عصبى بعض الشئ والحياة مضطربة جدا هذه الأيام . ويجب أن ينتهز المرء الفرصة للاعتزال والاستجمام بعض الوقت . وهذا المكان مثالى لذلك .

ثم اننى أعيد فيه حساباتى .

قال جا نيمار : انت تهزأ بى يا ارسين لوبين .

قال لوبين فى توكيد : اليوم الجمعة يا جانيمار . سآتى لكى ادخن سيجارا معك يوم الأربعاء القادم فى بيتك بشارع برجوليز فى تمام الساعة الرابعة من بعد الظهر .

- سأنتظرك يا ارسين لوبين .

وضغط كل منهما على يد الآخر كصديقين يقدر كل منهما الآخر حق قدره . ومضى المفتش العجوز نحو الباب .

- جانيمار !

تحول اليه هذا الأخير وقال : ماذا تريد ؟

- انك نسيت ساعتك يا جانيمار .

- ساعتى !

- نعم ، .. انها ضلت طريقها الى جيبى .

واعادها اليه وهو يعتذر قائلا :

- اصفح عنى .. عادة قديمة .. لقد أخذوا منى ساعتى ولكننى لاأريد ان احرمك من ساعتك لهذا السبب . ثم أن معى

ساعة كرونومتر لا أشكو منها وترضى احتياجاتى تماما .

وأخرج من الدرج ساعة كبيرة من الذهب معلقة فى سلسلة ثقيلة وسأله جانيمار :

- ومن اى جيب جاءتك ؟

فحص ارسين لوبين الحروف الاولى المحفورة على الساعة وهو يقول :

- ج . ب . من يمكن ان يكون بحق الشيطان ؟.. آه ، نعم ، اننى اتذكر .. جول بوفييه ..القاضى الذى تولى التحقيق معى.. انه رجل ظريف .

***

٣
هروب أرسين لوبين

بعد ان فرغ ارسين لوبين من تناول طعامه أخرج من الدرج سيجارا فخما وراح يفحصه فى ارتياح عندما فتح باب الزنزانه . فأسرع بالقائه الى الدرج وابتعد عن المنضدة . ودخل الحارس ، فقد ازفت ساعة الفسحة ، وصاح لوبين ببشاشته المعهودة :

- كنت انتظرك يا صديقى العزيز .

وخرجا . وما كادا يختفيان فى ركن من الممر حتى دخل رجلان الزنزانة وأخذا يفحصانها بدقة . كان أحدهما المفتش ديوزى والآخر المفتش فولنفان .

ارادا الأنتهاء من هذه المسألة . لم يكن هناك شك فى أن ارسين لوبين يتراسل مع الخارج ويتصل برجال عصابته ، ففى الأمس بالذات نشرت جريدة "جران جورنال" هذه السطور الموجهه الى مساعده القضائى :

"سيدى"

فى مقال صدر هذه الأيام تكلمت عنى بعبارات لا يبررها أى شئ . وقبل نظر قضيتى ببضعة أيام سآتيك لمحاسبتك

وتفضل بقبول تحياتى ؟

ارسين لوبين .

كان الخط لأرسين لوبين بالذات . اذن فهو يبعث برسائل ، ويتلقى بعضا منها . كان من الواضح اذن انه يعد لهذا الهروب الذى اعلن عنه بتلك الطريقة الوقحة .

أصبح الموقف لايطاق . ومضى مسيو ديبوا نفسه ، رئيس البوليس ، بالاتفاق مع قاضى التحقيق الى سجن السانتيه لكى يضع مع مدير السجن التدابير التى يجب اتخاذها . وما أن وصل حتى ارسل رجلين من رجاله الى زنزانة السجين .

رفعا كل بلاطة من بلاط الزنزانة ، وفكا الفراش وفعلا كل ما يجب فعله فى مثل تلك الظروف ولم يجدا شيئا فى النهاية . وهما بأن يتخليا عن بحثهما عندما أسرع اليهما الحارس قائلا :

- الدرج .. انظرا الى درج المنضدة . خيل لى أنه يقفله عندما دخلت .

ونظرا . وصاح ديوزى :

- يا الله .. لقد وقع فى ايدينا هذه المرة .

وأوقفه فولنفان قائلا :

- مهلا يا صديقى .. سيقوم الرئيس بعمل الجرد .

- وهذا السيجار الفاخر مع ذلك .

- اترك السيجار ولنخبر الرئيس .

وبعد دقيقتين كان مسيو ديدوا يفتش الدرج ، وجد فيه في البداية رزمة من المقالات المقطوعة من الجرائد تتكلم كلها عن ارسين لوبين ، ثم كيسا من التبغ وغليونا وبعض الاوراق الرفيعة ثم كتابين .

نظر الى العنوان . كان أحدهما كتاب الابطال لتوماس كارليل طبعة انجليزية ، والآخر كتاب أنيق مجلد بعنوان "موجز ابكتاتوس" (١) بالألمانية . تصفحهما ولاحظ ان صفحاتهما تدل على انها قرئت اكثر من مرة وتحتها خطوط وبهوامشها ملاحظات أكانت تلك علامات متفق عليها أم أنها تدل على اهتمام ودراسة مطالعها .

وقال مسيو ديدوا : سوف نعرف ذلك بالتفصيل . وفحص كيس التبغ والغليون ثم السيجار الفاخر وهتف :

- آه ان صاحبنا لا يبخل على نفسه بشئ .

ورفع السيجار بحركة مدخن الى اذنه وفحصه باصبعه ولم يلبث ان افلتت منه صيحة .، فقد لان السيجار تحت ضغط أصابعه . وفحصه في اهتمام اكثر وسرعان ما رأى شيئا ابيض بين أوراق التبغ ، وفي رفق وبواسطة دبوس سحب لفافة من الورق الرفيع .كانت عبارة عن رسالة بخط امرأة هذا نصها

---

(١) فيلسوف روماني قال ان معين السعادة هو النفس لا الاشياء الخارجية ودعا إلى الإخاء .

" استبدلت السلة بالأخرى . ثمانية من عشرة مستعدون . اذا ضغطت على القدم الخارجية تتحرك الصفيحة المعدنية من فوق الى أسفل . من اثنى عشر الى ستة عشر يوميا . هـ . ب . سينتظر ، ولكن أين . الرد عاجل . اطمئن ، صديقك يسهر عليك "

فكر مسيو ديدوا لحظة ثم قال :

- هذا واضح بما فيه الكفاية .. السلة .. الخانات الثمان .. من اثنى عشر الى ستة عشر .. اى من الظهر حتى الساعة الرابعة .

- ولكن هـ . ب . الذى سينتظر؟

- هـ . ب . هما حرفان يدلان فى هذه المناسبة على ماركة سيارة ونهض وسأل : هل كان السجين يتناول غذاءه ؟

- نعم .

- وبما انه لم يقرأ الرسالة بعد كما يدل على ذلك حالة السيجار فمن المحتمل انه تلقاها لتوه .

- وكيف ذلك .

- فى طعامه .. فى جوف رغيف أو فى أى شئ آخر .

- هذا محال .. فنحن لم نسمح له بأن يأتى له الطعام الا لكى نوقعه فى الفخ . ولم نجد شيئا .

- سنبحث هذا المساء عن رد لوبين . اما الآن فاحتجزه خارج زنزانته سأخذ هذه الرسالة الى قاضى التحقيق ، واذا وافقنى على

رأى فسنصورها على الفور . وبعد ساعة يمكنك ان تعيد الى الدرج مع هذه الاشياء سيجارا مماثلا يحتوى على الرسالة الأصلية بالذات .. لا يجب ان يشك السجين فى شئ .

وعاد مسيو ديدوا فى المساء الى السجن وهو يشعر بشئ من الفضول وبرفقته المفتش ديوزى . وكان فى ركن من المطعم ثلاثة اطباق فارغة ، وسأل : المدير .

- هل أكل ؟

- نعم .

- ديوزى .. اقطع هذه العيدان من المكرونة الرفيعه وتحقق ان كان بداخلها شئ . وافتح هذا الرغيف من الخبز .

- لاشئ أيها الرئيس .

فحص مسيو ديدوا الأطباق ثم الشوكة والملعقة وأخيرا السكين وهى سكين عادية مستديرة السلاح ، وادار مقبضها الى اليسار ثم الى اليمين . وتحرك المقبض وانفك . كانت السكين مجوفه وبداخلها ورقة . وقال :

- آه . ليس هذا بذكاء من رجل مثل لوبين . ولكن كفى مضيعة للوقت امض يا ديوزى وتحر عن هذا المطعم .

ثم قرأ :

" انا معتمد عليك . هـ . ب . ستتبع عن كثب ، كل يوم . وسأسبقها الى اللقاء قريبا ايتها الصديقة الرائعة " .

صاح مسيو ديدوا وهو يدعك يديه :

- أخيرا .. اظن ان المسألة تسير فى الطريق الصحيح . دفعة صغيرة من جانبنا ويتم الهروب .. تقريبا لكى يسمح بالقاء القبض على شركائه .

اعترض المدير قائلا :

- واذا أفلت ارسين لوبين من بين أصابعنا ؟

- سوف نستخدم العد الضرورى من الرجال .. واذا أراد ان يفوقنا فى الذكاء والبراعة فالويل له . اما عن العصابة فمادام الزعيم لا يريد ان يتكلم فسيتكلم الآخرون .

والواقع أن ارسين لوبين لم يتكلم كثيرا . فمنذ شهور «مسيو جول بوفييه ، قاضى التحقيق يبذل جهده عبثا . اقتصرت الاستجوابات على عبارات مجردة من اية فائدة بين القاضى والمحامى ، والاستاذ دوفال وهو واحد من أشهر المحامين بالمحكمة ، ولم يستطع هو الآخر أن يفوز بشئ ما من السجين .

ومن وقت لآخر كان ارسين لوبين يقول ، لاشئ الا بدافع الأدب :

- ولكن طبعا ياسيدى القاضى . نحن متفقان على أن سرقة أسهم الكريدى ليونيه ، وسرقة شارع بابيلون ، واصدار الاوراق المالية المزيفة وقضية وثائق التأمين ، وسرقة قصور ارسنيل وجوريه وامبلفين وجروزيى ومالاكيه ، كل ذلك من عمل خادمك.

- اذن قد يمكنك أن تفسر لى .

- لا فائدة .. اننى اعترف بكل ذلك وبعشرات غيرها لا يمكن ان تكون قد علمت بها .

واستولى التعب والارهاق على القاضى فتوقف عن استجواباته المملة . ولكنه استعادها من جديد بعد ان عرف بأمرالرسالتين . وكالعادة جئ بأرسين لوبين من سجن السانتيه ظهرا فى عربة السجن مع بعض المساجين واعيد اليه فى نحو الساعة الثالثة أو الرابعة .

ولكن تمت هذه العودة ذات أصيل فى ظروف خاصة ، فقد تأخر استجواب المساجين الآخرين وتقرر اعادة ارسين لوبين بمفرده..

وعربات السجن تنقسم بالطول بممر رئيسى وفيها عشر خانات خمس الى اليمين وخمس الى اليسار . وهذه الخانات معدة بحيث لابد للسجين أن يجلس فيها وبحيث يجلس المساجين كل منهم فوق الأخرين يفصل بين كل منهم قواطع متوازية ، ويجلس أحد الحراس فى آخر العربة ويراقب الممر .

ادخل ارسين فى الزنزانة الثالثة الى اليمين وانطلقت العربة الثقيلة . وادرك أن العربة تغادر رصيف الساعة وانها تمر أمام دار العدالة . وعندئذ ، فى نحو منتصف جسر سان ميشيل ضغط بقدمه الخارجى ، أى بقدمه اليمنى ، كما كان يفعل فى كل مرة على الصفيحة المعدنية التى تقفل زنزانته . وتحرك شئ على الفور وابتعدت الصفيحة واستطاع ان يتحقق انه موجود بالذات بين العجلتين .

وانتظر وهو يترقب . وصعدت العربة شارع سان ميشيل ، وتوقفت عند منحنى سان جرمان ، فقد وقع جواد احدى العربات وتوقفت حركة المرور ، وسرعان ماتكدست العربات والسيارات .

مرر ارسين لوبين رأسه . كانت عربة اخرى من عربات السجن تقف بجوار العربة التى يجلس فيها . وازاح الصفيحة اكثر ووضع قدمه فوق احدى العجلتين ووثب الى الأرض .

رآه حوذى فانفجر ضاحكا . واراد أن يستنجد ولكن ضاع صوته فى صخب العربات التى انطلقت من جديد ، ثم ان ارسين لوبين كان قد ابتعد كثيرا .

ركض بضع خطوات ولكنه اذ بلغ الرصيف الايسر استدار وألقى نظرة حوله ، وبدا أنه يسبر هبوب الريح كما لو كان لا يدرى الجهة التى ستتخذها ، ثم أستقر عزمه ووضع يديه فى جيبه واستأنف سيره فى هدوء وفى غير اكتراث .

كان الجو صافيا وجميلا وخريفيا . وكانت المقاهى مزدحمة وجلس فى شرفة واحدة منها .

وطلب كأسا من الجعة وعلبة من السجائر . وأفرغ كأسه فى جرعات صغيرة ودخن سيجارة فى هدوء ثم اشعل أخرى . ونهض اخيرا وطلب من الجرسون أن يستدعى المدير .

وجاء المدير وقال له ارسين لوبين فى صوت مرتفع لكى يسمعه الجميع :

- اننى آسف ياسيدى . اننى نسيت محفظتى . ربما يقول لك

اسمى ما يكفى لكى تقبل أن اسدد لك الحساب بعد بضعة أيام : ارسين لوبين .

نظر المدير اليه معتقدا انه يمزح . ولكن لوبين عاد يقول :

- لوبين ، سجين بسجن السانتيه وهارب فى الوقت الحالى ، اجرؤ واعتقد ان اسمى يوحى اليك بالثقة .

وابتعد بين ضحكات الآخرين دون ان يفكر المدير فى الحساب ، واجتاز شارع سوفلو وانعطف الى شارع سان جاك . وسار فى هدوء متوقفا أمام الفترينات وهو يدخن السجائر . وفى شارع بورت رويال استعلم ومضى رأسا الى سجن السانتيه . ورأى نفسه فجأة أمام جدران السجن العالية القاتمة . وحاذاها واقترب من الحارس الذى يقف أمام الباب العمومى وخلع قبعته وهو يقول :

- أهذا هو سجن السانتيه ؟

- نعم .

- أريد أن أعود الى زنزانتى . لقد تركتنى العربة فى الشارع ولا اريد أن .

زمجر الحارس قائلا :

- اسمع ياهذا .. امض فى طريقك ، وبأسرع ما يمكن .

- عفوا ، عفوا ، ذلك ان طريقى يمر عبر ذلك الباب . واذا أنت منعت ارسين لوبين من اجتيازه فسوف يكلفك ذلك الكثير .

- ارسين لوبين .. ما هذا الهذر الذى تقول !

قال لوبين وهو يتظاهر بتفتيش جيوبه :
- مما يؤسف له أن بطاقتي ليست معي .
حدجه الحارس من أعلى رأسه حتى اخمص قدمه ، مشدوها ، ثم ومن غير ان ينطق بكلمة ، وكما لو ان الأمر رغما عنه ضغط على جرس فانفتح الباب الحديدى .
وبعد بضع دقائق أقبل المدير وهو يجرى ويلوح بيديه متظاهرا بغضب شديد . ولكن لوبين ابتسم وقال :
- خل عنك ياسيدى المدير ، ولا داعى . لقد حرصوا على اعادتى الى العربة بمفردى ، ودبروا ازدحاما صغيرا وتصوروا اننى سأبادر بالفرار وانضم الى أصدقائى . حسنا .. والشرطة العشرون الذين كانوا يتبعوننا على الاقدام وفى السيارة وعلى الدراجة ؟ .. كلا ما كانوا ليتركوننى وشأنى ، وما كنت لأخرج سالما . قل لى ياسيدى المدير لعلكم كنتم تنوون ذلك .
وهز كتفيه وأردف :
- أرجوك ياسيدى المدير . لاتهتموا بى فى اليوم الذى أنوى الهرب فيه ، لن اكون بحاجة الى أحد .
وفى صباح اليوم التالى نشرت جريدة ايكو دى فرانس، التى أصبحت لسان حاله الرسمى ، والتى يقال انه أحد المساهمين فيها نشرت خبر ذلك الهروب بالتفصيل ، كما نشرت نص الرسالتين المتبادلتين بين السجين وصديقته الغامضة ، والوسائل المستخدمة فى نقل هاتين الرسالتين ، وتواطؤ البوليس وتجوله فى شارع سان

ميشيل وحادث مقهى سوفلو ، كما نشرت أن تحريات ديوزى فى تلك المقهى لم تسفر عن شئ . ونشرت فوق ذلك شيئا غريبا يدل على تنوع الوسائل التى يملكها ذلك الرجل ، وهو ان عربة السجن التى نقل اليها كانت عربة مزيفة استبدلتها العصابة باحدى العربات التى يمتلكها السجن .

ولم يعد هناك شك فى ان ارسين لوبين سيهرب قريبا بل انه هو نفسه أعلن ذلك بعبارات صريحة كما اكد ذلك رده على مسيو بوفيه فى اليوم التالى للحادث . فقد سخر القاضى من فشله فنظر اليه فى برود وقال :

- اسمعنى جيدا ياسيدى وصدقنى . محاولتى هذه للهروب ان هى الا جزء من خطتى للهرب .

زمجر القاضى قائلا : اننى لا أفهم .

- لاداعى لأن تفهم .

وعاود القاضى استجوابه ، وهو استجواب نشرته جريدة ايكو دى فرانس دون ان تنقص منه كلمة واحدة . واذ عاود استجوابه صاح لوبين فى ملل :

- رباه .. رباه .. ما الجدوى ؟ كل هذه الأسئلة لا أهمية لها .

- وكيف ذلك ؟

- لا أهمية لها لأننى لن أكون موجودا اثناء محاكمتى .

- لن تكون موجودا .

- كلا . هذه فكرة ثابتة . وقرار لا يتغير .. أبدا .

مثل ذلك التوكيد ، والأحداث التى تقع كل يوم اساءت الى العدالة وحيرتها . كان فيها اسرار لا يعرفها أحد غير ارسين لوبين ولا يمكن لأحد غيره ان يكشف عنها ، ولكن لأى غرض يكشف عنها ولماذا ؟

ونقل ارسين لوبين الى زنزانة أخرى . هبط ذات مساء الى الطابق السفلى . ومن ناحيته، انهى القاضى تحقيقاته وأحال القضية الى محكمة الجنايات .

وخيم الصمت عندئذ . وطال شهرين قضاهما لوبين مستلقيا فى فراشه موليا وجهه الى الحائط باستمرار . بدا أن تغيير الزنزانه قد أحزنه ، ورفض ان يستقبل محاميه ولم يتبادل مع حراسه غير بضع كلمات .

وبدا أنه استرد قواه فى الاسبوعين السابقين لمحاكمته ، وراح يشكو من نقص الهواء . واخرجوه الى الفناء فى الصباح فى وقت مبكر جدا ، يتبعه حارسان .

ولكن فضول الجمهور لم يضعف مع ذلك ، فقد راح ينتظر نبأ هروبه كل يوم . بل كانوا يتمنون ذلك ، اذ راق لهم كثيرا بحيويته ومرحه ولهوه وعبقريته فى الابتكار وغموض حياته . كان يجب ان يهرب ارسين لوبين . كان ذلك امرا حتميا ، ولامفر منه . بل أدهشهم ان ذلك قد تأخر كثيرا . كان رئيس البوليس يسأل سكرتيره كل صباح .

- حسنا . ألم يهرب بعد ؟

- كلا ياسيدى الرئيس .

- سيهرب غدا اذن .

وفى اليوم السابق لنظر قضيته مضى رجل الى مكاتب جريدة جران جورنال وطلب المحرر القضائى والقى ببطاقته فى وجهه ثم ابتعد مسرعا . وكانت هذه الكلملت مكتوبة على البطاقة : ارسين لوبين يفى دائما بوعوده .

***

وبدأت المحاكمة فى تلك الظروف .

وكان الازدحام شديدا ، فقد اراد الجميع رؤية ارسين لوبين والاستمتاع مسبقا بالطريقة التى سيتلاعب بها مع رئيس المحكمة . واسرع المحامون والقضاة والمؤرخون والأشراف والفنانون ونساء المجتمع وكل باريس على احتلال اماكنهم فى قاعة المحكمة .

وكان اليوم ممطرا والسماء مكفهرة . ولم يتبينوا جيدا ارسين لوبين عندما أدخله الحراس . ولم تكن الطريقة التى تهالك بها فى مقعده وعدم اكتراثه الظاهر فى صالحه . ومخاطبه محاميه اكثر من مره ولكنه يكتفى بهز رأسه ولا ينطق .

وقرأ الكاتب عريضة الاتهام . ثم قال الرئيس :

- قف ايها المتهم . اسمك ولقبك وسنك ومهنتك ؟

واذ لم يأته رد عاد يقول :

- ما اسمك ؟ .. اننى أسألك عن اسمك .

ورد عليه صوت خشن متعب قائلا :

- اسمى بودرو .. ديزيريه بودرو .

ودارت همسات ، ولكن الرئيس عاد يقول :

- ديزيريه بودرو ؟ .. آه . هذا اسم جديد . ولكن بما انه الاسم الثامن الذى تزعم انه اسمك ، وهو اسم خيالى بلا شك كغيره من الاسماء التى اتخذتها فسوف نتقبله اذا أردت بدلا من ارسين لوبين وهو اسمك الذى يعرفه عنك الجميع .

وفحص الرئيس مذكراته وقال :

- لأننا لم نستطع رغم كل تحرياتنا وابحاثنا ان نعرف شخصيتك . فأنت تمثل لنا حالة خاصة فى مجتمعنا الحديث لأننا لم نعرف ماضيك اننا لا نعرف من أنت ولا من أين أتيت وأين قضيت طفولتك .صفوة القول ، لا نعرف عنك شيئا على الاطلاق

انك ظهرت فجأة منذ ثلاث سنوات ولا ندرى من أى وسط ، ولكى اقول لك كل شئ يا ارسين لوبين فانت مركب غريب من الذكاء والفساد والفجر والكرم . وكل مانعرفه عنك قبل اليوم انما هو مجرد افتراضات وتخمينات . ومن المحتمل ان المدعو روستا الذى كان يعمل منذ ثمانى سنوات مع الحاوى ديكسون لم يكن غير ارسين لوبين . ومن المحتمل ان الطالب الروسى الذى كان يتردد منذ ست سنوات على معمل الدكتور التييه بمستشفى سان لويس والذى ادهش الطبيب ببراعة نظرياته فى البكتريولوجيا وبجرأة تجاربه فى امراض الجلد لم يكن غير ارسين لوبين .

وارسين لوبين هو ايضا مدرس المصارعة اليابانية التى دخلت باريس منذ سنوات . ارسين لوبين الذى ربح الجائزة الكبرى فى سباق الدراجات وحصل على عشرة آلاف فرنك ولم يظهر بعد ذلك . وربما تكون ايضا ارسين لوبين الذى انقذ الكثير من الناس من النافذة الصغيرة فى سوق المبرة وسلبهم أموالهم .

واردف الرئيس يقول بعد وقفة قصيرة :

ذلك هو العصر الذى يبدو أنه لم يكن الا إعدادا دقيقا للكفاح الذى تزاوله ضد المجتمع ، وهو تدريب منسق وضعت فيه كل قوتك ونشاطك ومهارتك . هل تعترف بصحة هذه الوقائع ؟

كان المتهم اثناء ذلك الحديث يتأرجح من ساق الى ساق اخرى محدوب الظهر جامد الذراعين . ولوحظ تحت الضوء الشديد نحافته المفرطة ووجنتاه المعروقتان وصدغاه البارزان بطريقة غريبة ووجهه الكامد بلون التراب والمشوب ببقع صغيرة حمراء وذقنه التى يحيط بها لحية قصيرة غير مهذبة . كان السجن قد أشاخه واذبله بصورةكبيرة . لم يعد احد يعرف الشاب الأنيق والوجه الوسيم الذى نشرت الجرائد صورته مرارا .

خيل انه لم يسمع السؤال الذى ألقى عليه . وأعيد نفس السؤال مرتين ، وعندئذ رفع عينيه وبدا أنه يفكر ثم بذل مجهودا كبيرا وتمتم :

– ديزيريه بودرو .

راح الرئيس يضحك وقال :

- انني لا أفهم تماما ما الطريقة التى تتخذها فى الدفاع عن نفسك يا ارسين لوبين . اذا كنت تتظاهر بالغباء وعدم المسئوليه فهذا شأنك ، اما أنا فسأمضى قدما الى الغاية دون ان أعبأ بنزواتك .

وراح يتكلم بالتفصيل عن السرقات وعمليات الاختلاس والتزييف ، وكان يسأل المتهم أحيانا فيطلق هذا الأخير زمجرة ولا يرد .

وتقدم الشهود .. كان هناك بعض الاتهامات التافهة واخرى اكثر جدية وكان لها جميعا طابع مشترك وهو انها كانت تناقض بعضها البعض . كان الغموض يحيط بالمناقشات ، واستيقظ اهتمام الجميع عندما تقدم المفتش جا نيمار .

وتسبب المفتش العجوز فى البداية في شئ من خيبة الأمل . لم يبد عليه أى خوف أو خجل ، فقد رأى الكثير فى حياته ، ولكن بدا عليه القلق وعدم الارتياح . وحول عينيه اكثر من مرة نحو المتهم في انزعاج ظاهر ، ومع ذلك فقد اعتمد بيديه على الحاجز وروى الاحداث التى اشترك فيها ، مطاردته خلال اوروبا ووصوله الى امريكا . وراحوا يصغون اليه في اهتمام شديد كما لو انهم يسمعون رواية قصة احدى المغامرات المشهورة . ولكن عندما اشار فى النهاية الى محادثاته مع ارسين لوبين توقف مرتين في شرود وتردد :

كان واضحا أن فكرة أخرى تلح عليه . وقال له الرئيس :

- اذا كنت متوعكا فمن الاوفق ان تتوقف عن الادلاء بشهادتك .

- كلا ، كلا ، وانما .

ولزم الصمت ، ونظر الى المتهم مليا وفى تفكير ثم قال :

- اننى أطلب الاذن بفحص المتهم عن كثب ، فهناك سر يجب أن أجلوه .

واقترب وتأمل المتهم اكثر من ذى قبل مركزا كل تفكيره ثم استدار الى حرم المحكمة وقال فى لهجة حزينة :

- سيدى الرئيس . اؤكد ان الرجل الماثل هنا ، أمامى ليس ارسين لوبين .

قوبلت هذه الكلمات بصمت عميق . وصاح الرئيس مشدوها :

- آه .. ما هذا الذى تقول ؟ .. أنت مجنون .

ولكن المفتش قال مؤكدا فى هدوء :

- يمكن الاعتقاد لأول وهلة ان هناك شبها ، وهو شبه موجود فى الواقع ، واعترف بذلك . ولكن تكفى لحظة واحدة من الاهتمام فالأنف والفم والشعر ولون البشرة .. ولكن أخيرا ، هذا ليس ارسين لوبين .. ثم انظر الى العينين . انهما عينا رجل مخمور وليست بعينى ارسين لوبين .

- ولكن .. ولكن .. فلنتفاهم ، ماذا تعنى أيها الشاهد ؟

- وهل أدرى .. لاريب أنه حل مكانه فى الوقت المناسب رجل مسكين يوشك ان يحكم عليه بدلا منه .. مالم يكن شريكا له .

ارتفعت الصيحات والضحكات والهتافات فى كل جوانب القاعة التى هزتها هذه المفاجأة غير المتوقعة . وطلب الرئيس احضار قاضى التحقيق ومدير السجن والحراس وأجل نظر القضية.

وعند اعادة نظرها ، قال مسيو بوفييه والمدير أمام المتهم انه ليس بين ارسين لوبين وذلك الرجل الا شبه مبهم جدا فى الملامح . وصاح الرئيس :

– ولكن من هذا الرجل اذن ؟ وكيف يتواجد بين ايدى العدالة وجئ بحارسى السجن . وكان التناقض كافيا . تعرفا على السجين الذى ظلا يراقبانه الواحد بعد الآخر . وأخذ الرئيس نفسا طويلا فى حين قال أحد الحارسين :

– نعم ، نعم . اعتقد أنه هو .

– كيف هذا ؟ .. تعتقد ؟

– ذلك اننى رأيته . لقد سلموه الى ليلا ومنذ شهرين وهو مستلق موليا وجهه نحو الحائط .

– ولكن قبل هذين الشهرين ؟

– آه ، قبل ذلك لم يكن يشغل الزنزانة رقم ٢٤ .

وأوضح مدير السجن هذه النقطة قائلا :

– اننا نقلنا السجين الى زنزانة أخرى بعد محاولته الهرب .

– ولكن ألم تره انت ياسيدى المدير منذ شهرين ؟

– لم تسنح لى الفرصة لكى اراه .. فقد التزم الهدوء .

- وهذا الرجل ليس المتهم الذى سلم اليك ؟
- كلا .
- من هو اذن ؟
- لا ادرى ماذا أقول .
- نحن اذن امام استبدال رجل بآخر تم منذ شهرين . كيف تفسر ذلك .
- هذا مستحيل .
- واذن ؟
وفى محاولة أخيرة تحول الرئيس الى المتهم وقال له فى اغراء :
- ايها المتهم ، هل يمكن ان تفسر لى كيف ومنذ متى وأنت بين يدى العدالة ؟
ويبدو ان لهجة الاغراء تغلبت على الحذر الذى يسيطر على ذهن الرجل وحاول أن يرد . وأخيرا ، وباستجوابه بمهارة وهدوء افلح فى النطق ببضع عبارات تبين منها ما يأتى . جئ به الى السجن منذ شهرين وقضى فيه ليلة ونهارا . وأفرج عنه ولم يكن معه غير خمسة وسبعين سنتيما . وفيما هو يجتاز فناء السجن أخذه حارسان من ذراعه وقاداه حتى عربة السجن . ومنذ ذلك الوقت وهو يعيش فى الزنزانة رقم ٢٤ ولم يكن هناك ما يشكو منه فالطعام جيد والنوم لا بأس به .. ولهذا لم يعترض .
بدا كل ذلك معقولا . وفى وسط الضحكات والهرج والمرج احال الرئيس القضية الى دورة أخرى لاستكمال التحقيق .

ومن التحقيق الذى اجرى على الفور ثبت ان المدعو ديزيريه بودرو دخل السجن قبل ذلك بثمانية أسابيع واطلق سراحه فى اليوم التالى وغادر السجن فى الساعة الثانية من بعد الظهر . وفى ذلك اليوم بالذات كان لوبين قد تم استجوابه للمرة الاخيرة وخرج من ادارة البوليس فى عربة السجن .

فهل أخطأ الحارسان ، وهل استبدلا سجينهم بذلك الرجل وقد غرهما الشبه العجيب الذى بينهما فى لحظة شرود ؟ لو أن هذا هو الذى حدث فلابد أن يكون قد حدث بشئ من التواطؤ ، والتواطؤ لا يدخل فى طبيعة مهنتهما .

هل كانت عملية الاستبدال مدبرة من قبل ؟ ولكن فضلا عن وضع الأماكن فقد كان من الضرورى ، اذا كان الأمر كذلك أن يكون بودرو ضالعا ، وان يكون قد عمل على ان يلقى القبض عليه لكى يحل محل ارسين لوبين ، ولكن بأية معجزة اذن تمت تلك الخطة القائمة على سلسلة من الصدف غير المعقولة واللقاءات العرضية والأخطاء الغريبة .

وعندما أرادوا التأكد من شخصية ديزيريه بودرو لم يجدوا له بطاقة ، ولكنهم اكتشفوا آثاره بسهولة ، فقد كان معروفا فى كوربنعوا وأسنيير وليفالوا ، وكان يعيش على الصدقات ويبيت فى أحد تلك الاكواخ الحقيرة التى تضم المتشردين وجامعى القمامة ، ولكنه كان قد اختفى مع ذلك منذ سنة .

فهل ضمه ارسين لوبين الى عصابته ؟ لم يكن هناك ما يحمل

على هذا الظن ، ولو ان ذلك قد حدث فليس هناك مايفسر هروب السجين ، فان المعجزة تبقى كما هى ، فكل النظريات التى كانت تحاول تفسيرها لم تكن مرضية . كان الهرب وحده حقيقة لا يمكن الشك فيها ، وهو هرب غامض مدهش ، رأى الجمهور والعدالة فيه بالذات جهد اعداد طويل ومجموعة من الأعمال المعقدة بصورة عجيبة ، بعضها ببعض ، تبرر النبؤه المتغطرسة لأرسين لوبين : لن أكون موجودا أثناء محاكمتى .

وبعد شهر طويل من التحريات والأبحاث الدقيقة بقى اللغز كما هو ، غامضا مستغلقا . ومع ذلك فلم يكن من المستطاع الاحتفاظ بذلك الشيطان المسكين بودرو الى الأبد ، ومحاكمته فى هذه الحالة تعتبر أمرا سخيفا فلم تكن هناك أية تهم ضده . وأمر قاضى التحقيق باطلاق سراحه ، ولكن رئيس البوليس قرر أن يقيم حوله رقابة شديدة .

انبثقت الفكرة من جانيمار . فقد كان من رأيه انه ليس هناك تواطؤ ولا صدفه وان بودرو كان اداة استخدمها لوبين بذكائه العجيب . وباطلاق سراح بودرو يمكن الوصول الى ارسين لوبين أو على الأقل الى أحد أعضاء عصابته .

وزودوا جانيمار برجلين من رجال البوليس ، وهما فولنفان وديبوزى وفى صباح أحد أيام يناير ، وفى جو مكفهر انفتح باب السجن أمام ديزيريه بودرو .

بدا عليه الارتباك فى البداية ثم مشى كرجل ليست له غاية

معلومة ، وسلك شارع السانتيه وشارع سان جاك، وأمام محل لبيع الثياب المستعمله خلع جاكتته وصديره وباع الصديرى بمبلغ زهيد ثم ارتدى جاكتة وانطلق .

واجتاز نهر السين ، وفى شاتيليه مر به اوتوبيس أراد ان يستقله ولكن لم يكن به محل شاغر ونصحه السائق بأن يحجز تذكرة فدخل قاعة الانتظار .

وفى هذه اللحظة استدعى جانيمار رجليه اليه وقال لهما مسرعا :

- استوقفا سيارة أجرة .. بل سيارتين فهذا أدعى للحرص . فسأمضى مع أحدكما ، ونتبعه .

وأطاعه الرجلان ، ولكن بودرو لم يظهر ، فتقدم جانيمار وألقى نظرة الى قاعة الانتظار .. لم يكن بها أحد ، فصاح :

ما أغبانى ! .. نسيت الباب الثانى .

والواقع أن قاعة الانتظار كانت مزودة بباب آخر يؤدى عبر طرقة صغيرة الى شارع سان مارتان ، فاندفع جانيمار ، وخرج من الطرقة فى الوقت المناسب لكى يرى بوردو فى اوتوبيس ينعطف الى شارع ريفولى فجرى ولحق بالاوتوبيس ، ولكنه كان قد فقد الرجلين وراح يطارد فريسته وحده .

وفى ثورة غضبه اوشك أن يمسك بخناقه بدون أي تفكير . افلم يتعمد ذلك الغبى المزعوم وبحيلة بارعة ان يفرق بينه وبين مساعديه ؟

نظر الي بودرو . كان يغفو فوق مقعده ورأسه تتحرك ذات اليمين وذات اليسار ، فاغرا فمه بعض الشئ والغباء يبدو جليا على ملامحه . كلا . انه ليس بغريم جدير بان يخدع جانيمار العجوز ، لقد خدمته الصدفة ، ولا شئ غير ذلك .

وفى ميدان جاليرى لافابيت هبط الرجل من الاوتوبيس ووثب الى الترام المنطلق الى لامويت .ومر الترام بشارع هوسمان وشارع فيكتور هوجو ولم يهبط بودرو الا فى محطة لامويت . وتغلغل فى غير مبالاة فى غابة بولونيا .

كان ينتقل من طرقة الى أخرى ثم يعود أدراجه ، ويبتعد من جديد . عم يبحث ؟ .. وما غايته ؟ .

وبعد ساعة على هذا النحو بدا عليه الارهاق ، ورأى امامه مقعدا فجلس . كان المكان غير بعيد عن اوتيى ، على حافة بحيرة صغيرة تحيط بها الأشجار ، وكان المكان مقفرا تماما . ومرت نصف ساعة . وفرغ صبر جانيمار وقرر ان يبادله الحديث .

اقترب وجلس بجوار بودرو . وأشعل سيجارة ، ورسم بضع دوائر على الرمل بعصاه وقال :

- الطقس معتدل .

ساد صمت . وفجأة دوت ضحكة قطعت الصمت .. ضحكة مرحه سعيدة . ضحكة طفل استولى عليه ضحك مجنون ولا يستطيع أن يمنع نفسه من الضحك . وأحس جانيمار فى وضوح تام بان شعر رأسه يقف ، فهذه الضحكة ، هذه الضحكة الجهنمية

يعرفها جيدا .

وبحركة مفاجئة أمسك الرجل من طرفى جاكتته ونظر اليه مليا وفى عنف باكثر مما فعل فى قاعة المحكمة والواقع انه لم ير الرجل . كان هو الرجل ولكنه كان فى نفس الوقت الرجل الآخر ، الحقيقى .

رآه من جديد على حقيقته ونظر بقوة إلى عينيه فقد كانت تكمل القناع الضامر ، ورأى اللحم الحقيقى تحت البشرة التالفة والفم الحقيقى من خلال البسمة التى تغير من شكله . وكانت العينان عينى الآخر ، والفم فم الآخر ، كانت على الخصوص تعبيرات وجهه الحادة ، الحية ، الساخرة ، المرحة ، والشديدة الوضوح والفتوة .

وتمتم : ارسين لوبين .. ارسين لوبين .

وفجأة ضغط على عنقه وقد استبد به الغيظ ، وعلى الرغم من سنيه الخمسين كان لا يزال يتمتع ببعض القوة فى حين خيل له ان غريمه ليس فى حالة طيبة ولن يكون ندا له ، ثم ما اشد سروره وسعادته حين يتغلب عليه ويعيده الى السجن .

كانت المعركة قصيرة ، ودافع ارسين لوبين عن نفسه ، وبأسرع مما هوجم ، وتخلى جانيمار عنه وقد تدلى ذراعه الى جنبه فى حذر وجمود .

***

قال لوبين : لو أنهم علموك الجودو فى ادارة البوليس لعرفت ان هذه الحركة تعرف باسم اوديش جى باليابانية .

واردف يقول فى برود :

- لحظة أخرى وكنت اكسر ذراعك ، وما كنت لتنال الا ما تستحق . كيف ، وانت صديق عزيز اقدره كل التقدير واكشف امامه بكل تلقائية الشخصية التى تخفيت تحتها ، تستغل ثقتى هكذا .. هذا عمل غير جميل .. حسنا .. ماذا بك ؟

لزم جانيمار الصمت . هذا الهرب الذى يرى انه مسئوله عنه أليس هو الذى أضل العدالة بشهادته المثيرة .. بدا له هذا الهرب عار مهنته وانحدرت دمعه فوق شاربه الذى وخطه المشيب .

- آه .. آه .. لا تغضب هكذا يا جانيمار .. لو انك لم تتكلم لدبرت الأمر لكى يتكلم شخص غيرك . فلم يكن بوسعى ان اترك ديزيريه بودرو يجازف بالحكم عليه .

تمتم جانيمار : اذن فكنت انت الذى كان هناك . وأنت الذى هنا ؟

- انا ، ودائما انا ، ولا أحد غيرى انا .

- هل هذا ممكن ؟

- اوه . ليس فى الأمر أى سحر . كان يكفى ، كما قال ذلك الرئيس الشهم أن اعد العدة طوال اثنى عشر عاما لكى أكون مستعدا لكل الاحتمالات .

- ولكن وجهك ؟ .. وعينيك ؟

- اذا كنت ، كما تعلم ، قد عملت ثمانية عشر شهرا مع الدكتور التيبيه فى سان لويس فلم يكن ذلك حبا فى الفن . خطر لى ذات يوم ان ذلك الذى سيتشرف بان يعرف باسم ارسين لوبين يجب ان يكون استاذا فى التنكر . يمكننى ان اغير مظهرى وهيأتى كما يحلو لى ، فحقنة من البارافين تحت الجلد مباشرة ويتورم المكان المختار تماما . وحمض خاص يغير هيأتك كما تريد، وخلاصة بعض النباتات الخاصة تحدث اوراما ودمامل كثيرة، وتركيبة كيماوية تتسبب فى اطلاق لحيتك وشعرك ، وتركيبة أخرى تغير صوتك . أضف الى كل هذا شهرين من الاستجمام فى الزنزانة رقم ٢٤ وتجارب مكررة ألف مرة لكى أفتح فمى بتكشيرة خاصة ، ولكى احنى رأسى وظهرى بطريقة معينة ، وأخيرا خمس قطرات من الاتروبين فى العينين لكى ابدو شاردا وزائغا ، وتتم اللعبة .

- ولكننى لاأفهم كيف ان الحراس ...

- كان التغيير تدريجيا ، ولم يلحظوا تطوره اليومى .

- ولكن ديزيريه بودرو ؟

- بودرو موجود . انه مسكين ساذج التقيت به العام الماضى ويشبهنى فى ملامحى بعض الشبه حقا . وتوقعا لاحتمال القبض عليه احتفظت به فى مكان أمين ورحت ادرس منذ البداية اوجه الشبه التى تجمع بيننا . وعمل أصدقائى على أن يقضى ليلة فى السجن بحيث يخرج منه تقريبا فى نفس الساعة التى اغادره أنا

الآخر ، وبحيث يمكن التحقيق من المصادفة بسهولة ، لأنه كان يجب ، كما تعلم ، ان يهتدوا الى اثر مروره فى السجن والا تساءلت العدالة من أنا .. وبحيث أنه اذا قدمت لهم ذلك البودرو

المتاز فلا بدلهم عندئذ .. هل تسمع .. لابد لهم ان تبدو لهم عملية الاستبدال واضحة دون أي غموض ويصدقونها بدلا من الاعتراف بجهلهم .

تمتم جانيمار : نعم .. نعم .. طبعا .

وقال لوبين : ثم انه كان فى يدى ورقة رابحة دبرتها أنا منذ البداية وهى ان الجميع كانوا ينتظرون أن أهرب كما قلت . و هذه هى الغلطة الكبيرة التى وقعت فيها أنت وغيرك والتى كنت اجازف فيها بحريتى . اعتقدتم جميعا اننى اتبجح ، وان نجاحى اثملنى الى حد الغرور .. وهل ينتابنى أنا ، ارسين لوبين ، مثل هذا الضعف وكما حدث فى قضية كاهورن لم تقل : ما دام ارسين لوبين ينشر على الملأ أنه سيهرب فذلك لأن لديه اسبابا تضطره الى ان يفعل ذلك . ولكن بالله ، افهم اذن اننى لكى اهرب دون ان أهرب كان يجب ان تصدقوا مسبقا ذلك ، وان تؤمنوا بأنه سيحدث وان يكون الاعتقاد مطلقا والحقيقة ساطعة كالشمس . وقد حدث هذا بارادتى أنا .. ارسين لوبين سيهرب .. ارسين لوبين لن يكون موجودا أثناء محاكمته ، وعندما نهضت أنت لكى تقول "هذا الرجل ليس ارسين لوبين" كان من الطبيعى ألا يصدق الناس على الفور اننى لست ارسين لوبين . ولو أن شخصا واحدا خامره

الشك ونطق بهذه العبارة " واذا كان هو ارسين لوبين؟" لكنت من الهالكين فى الدقيقة نفسها . فقد كان يكفيك ألا تنحنى فوقى وفى ذهنك اننى لست ارسين لوبين كما فعلت أنت والآخرون ، وانما ان تنحنى وفى ذهنك اننى أستطيع ان اكون ارسين لوبين ، وكنت رغم كل احتياطاتى ، تعرفنى على الفور ، ولكننى كنت مطمئنا ، فما كان ليخطر لأحد منطقيا ونفسيا ، مثل تلك الفكرة انبسيطة .

وأمسك بيد جانيمار فجأة وقال :

- والآن يا جانيمار ، اعترف انك انتظرتنى ، بعد ثمانية ايام من حديثنا فى السجن فى الساعة الرابعة فى بيتك كما قلت لك.

سأله جانيمار وهو يتحاشى الرد :

- وعربة السجن ؟

- كانت خدعة . هم أصدقائى الذين جاءوا بعربة قديمة لم يكن احد يستخدمها وأعدوا فيها تلك الصفيحة المعدنية التى تتحرك واستبدلوا بها عربة السجن لمساعدتى على الهرب . ولكننى كنت اعرف ان مثل تلك المحاولة لا يمكن ان تنجح الا بفضل ظروف استثنائية ، وقد وجدت فيها فرصة كبيرة لدعاية واسعة . فان اول هرب يدبر بكل جرأة يحقق قيمة كبيرة لهرب ثان يدبر مسبقا .

- بحيث ان السيجار .

- ثقبته انا بواسطة سكين .

- والرسالتان .

- انا الذى كتبتهما .
- والمراسلة الغامضة ؟
- انا وهى شخص واحد . ان كل الخطوط طوع يدى .

فكر جانيمار لحظة ثم سأل :

- وهيئة تحقيق الشخصية ؟ كيف اتفق انها لم تكتشف الحقيقة عندما ارادت التحقيق من بطاقة بودرو وانها تتطابق مع بطاقة ارسين لوبين .

- لأن بطاقة ارسين لوبين لا وجود لها .
- وهل هذا معقول ؟
- او لأنها على الأقل بطاقة زائفة . وهذه مسألة امعنت فى دراستها طويلا . فان طريقة برتيلون تقوم أساسا على الاوصاف النظرية ، وهى طريقة غير معصومة من الخطأ كما تعرف ، ثم تأتى بعد ذلك أوصاف المقاسات : مقاس الرأس والاصابع والاذنين الخ .. ولا يمكن الخطأ فى هذه الناحية .

- واذن ؟
- كان لابد أن أدفع اذن . وقد رضى أحد موظفى الهيئة ، قبل عودتى من امريكا ان يضع مقاسا زائفا فى البداية مقاساتى. وهذا يكفى لتغيير مسار البطاقة فهى تتجه عندئذ الى خانة أخرى غير الخانة التى يجب ان تتجه اليها ، ولهذا لم تتطابق بطاقة بودرو مع بطاقتى .

- ساد صمت عميق ، ثم قال جانيمار :

وماذا ستفعل الآن ؟

صاح لوبين : الآن ؟ .. سأستجم ، وسأتبع نظاما جديدا للافراط فى التغذية ، وسأعود نفسى شيئا فشيئا من جديد . فان الخير جدا ان يكون المرء بودرو أو أى شخص آخر ، وأن يغير شخصيته كما يغير قميصه ، وان يختار هيئته وصوته ونظرته وخطه . ولكن يحدث ان يضيع المرء فى كل هذا ولا يعرف نفسه حقا وهذا أمر محزن ؛ وأشعر فى الوقت الحالى بما يشعر به الرجل الذى فقد ظله .سأبحث عن نفسى من جديد حتى أجدها .

وراح يمشى جيئة وذهابا .. وبدأت العتمة تختلط بالنهار وتوقف أمام جانيمار :

- أظن انه لم يعد بيننا ما يقال ؟

أجاب المفتش : بلى . اريد ان اعرف اذا كنت ستكشف الحقيقة حول هربك .. والغلطة التى ارتكبتها .

- اوه ، لن يعرف أحد أبدا أن الذى اخلى سبيلى هو ارسين لوبين ، فان لى مصلحة كبيرة فى تكديس أشد الظلمات حولى لكيلا اترك لهذا الهرب صفته التى تكاد تشبه المعجزة . ولهذا لا تخش شيئا يا صديقى العزيز ، ووداعا . اننى سأتناول العشاء الليلة فى المدينة ، ولم يعد أمامى من الوقت الا مايكاد يكفى لاستبدال ثيابى .

- كنت أظنك شديد الرغبة فى الاستجمام .

- واأسفاه . هناك واجبات اجتماعية لا يمكن للمرء التخلف

عنها سوف يبدأ الاستجمام غدا .

- واين تتناول العشاء : اذن ؟

- فى سفارة انجلترا .

* * *

٤
المسافر الغامض

كنت قد بعثت بسيارتى بالأمس الى روين ، وكان يجب ان الحق بها بالسكة الحديد ومن هناك أمضى لدى أصدقاء يقيمون على شاطئ نهر السين .

ولكن قبيل دقائق من انطلاق القطار من باريس احتل مقصورتى سبعة رجال ، خمسة منهم يدخنون . ورغم ان الرحلة قصيرة فى القطار السريع فان توقع قضائها مع تلك الصحبة لم يرق لى ، فضلا عن ان عربة القطار كانت من الطراز القديم وبدون ممر فأخذت معطفى وجرائدى ودليل السكة الحديد ومضيت الى احدى المقصورات المجاورة .

كان بها سيدة ما ان رأتنى حتى صدرت منها حركة تدل على الاستياء لم تفت على ، وانحنت نحو رجل واقف على سلم القطار لاشك أنه زوجها ، ورافقها حتى المحطة . ونظر الرجل الى ويبدو أن الفحص كان فى صالحى لأنه خاطب زوجته فى صوت خافت وهو يبتسم ، بلهجة من يطمئن طفلا مذعورا . وابتسمت بدورها بنظرة رقيقة كما لو انها ادركت فجأة اننى من اولئك الرجال المجاملين والذين يمكن لامرأة ان تبقى فى صحبتهم طوال ساعتين

فى غرفة لاتتعدى ستة أقدام مربعة دون أن تخشى شيئا .

وخاطبها زوجها قائلا :

- أرجو ألا تغضبى ياعزيزتى ، فان لدى موعدا هاما ، ولا استطيع الانتظار .

وعانقها فى حنو وانصرف . وارسلت له زوجته عبر النافذة بقبلات صغيرة رقيقة وهزت منديلها .

وارتفع صفير ثم انطلق القطار .

وفى هذه اللحظة بالذات ، ورغم احتجاجات الموظفين أنفتح الباب واندفع رجل داخل مقصورتنا . وكانت زميلتى واقفة ترتب حاجياتها فوق الرف ، فأطلقت صيحة فزع ، وتهالكت فوق المقعد

وانا لست جبانا ، أبدا . ولكننى أعرف ان مثل هذا الاقتحام فى آخر لحظة يشق على المرء دائما . فهو يبدو غامضا وغير عادى ولابد أن وراءه شئ والا .

ومع ذلك ، فان هيئة الوافد الجديد ومسلكه كانا يجب ان يخففا من وقع اقتحامه . فقد كان مؤدبا جدا وأنيقا .. ربطة عنق تدل على ذوق رفيع ، وقفاز نظيف ، ووجه طلق ، ولكن بمناسبة وجهه ، أين رأيته ؟ لأنه لم يكن هناك أى شك فقد سبق لى أن رأيته ، او بوجه اصح استعدت نفس الذكرى التى تبقى عالقة فى الذهن من رؤية وجه رأيته اكثر من مرة ، ولم أر الأصل ولا مرة . واحسست فى نفس الوقت بعدم جدوى اى جهد

لكى اتذكر ذلك طالما ان تلك الذكرى كانت غامضة وغير منطقية.

وحولت اهتمامى نحو السيدة . وادهشنى امتقاع وجهها والاضطراب البادى عليها . كانا جالسين فوق نفس المقعد ، ورأيت فى ملامحها ذعرا حقيقيا ، ولحظت ان احدى يديها ترتعش ، وتتسلل خفية الى حقيبة صغيرة فوق الرف على بعد عشرين سنتيمترا منها ، وانتهت بأن امسكتها وجذبتها اليها فى عصبية ظاهرة .

والتقت عيوننا ، وقرأت فى عينيها ضيقا وقلقا بحيث لم يسعنى الا أن أقول لها :

- هل تشعرين بتوعك ياسيدتى ؟ .. هل يجب ان افتح النافذة ؟

ومن غير ان تنطق أشارت فى خوف ، الى الرجل الجالس الى جوارها . وابتسمت لها كما فعل زوجها وهززت كتفى وشرحت لها بالاشارات أنه ليس هناك ماتخشاه ، واننى موجود ، ثم ان ذلك السيد يبدو مسالما لا ضرر منه .

وفى هذه اللحظة تحول الينا ، وتأمل كلا منا ، الواحد بعد الآخر ، من اعلى رأسينا الى اخمص اقدامنا ، ثم قبع فى ركنه ولم يتحرك .

وساد صمت . ولكن بدا أن السيدة تجمع كل قوتها للقيام بعمل يائس ، وقالت فى صوت غير واضح :

- هل كنت تعرف انه فى قطارنا ؟

- من ؟

- انه هو .. هو .. واؤكد لك ذلك .

- ولكن من ؟

- ارسين لوبين .

ولم تفارق المسافر بعينيها وقد نطقت بذلك الاسم المزعج بالاحرى له هو اكثر مما نطقت به لى انا ، ولكنه خفض قبعته حتى انفه ، ولا أدرى ان كان قد فعل ذلك لاخفاء اضطرابه أو لأنه كان يتأهب للنوم فحسب واعترضت قائلا :

- لقد صدر الحكم على ارسين لوبين غيابيا بالسجن عشرين سنة (أشغال شاقة) والاحتمال قليل اذن فى ان يكون من الحماقة بحيث يظهر أمام الجمهور . ثم ، الم تشر الجرائد الى وجوده فى تركيا هذا الصيف بعد فراره الشهير من السجن السانتيه ؟

عادت المرأة تقول وقد بدا أنها تريده ان يسمع ما تقول .

- انه موجود فى هذا القطار . ان زوجى مساعد مدير مصلحة السجون ، وناظر المحطة نفسه هو الذى قال انهم يبحثون عن ارسين لوبين .

- ليس هذا بسبب لكى .

- وقد التقوا به فى قاعة الانتظار .. وأخذ تذكرة الى روبن بالدرجة الأولى .

- كان من السهل اذن ان يقبضوا عليه هناك .

- ولكنه اختفى . لم يره المفتش عندما دخل قاعة الانتظار ، واعتقدوا انه انتقل الى رصيف آخر وركب السريع الذى ينطلق بعد قطارنا بعشر دقائق .

- لو أن الأمر كذلك فلعلهم ألقوا القبض عليه .

- واذا كان قد نزل فى آخر لحظة من ذلك السريع لكى يأتى هنا . فى قطارنا .. هذا محتمل .. بل اكيد .

- سيلقون القبض عليه هنا عندئذ ، لأن الموظفين ورجال الشرطة لابد لاحظوا انتقاله من قطار الى آخر ، وسيلقون القبض عليه حتما عندما نصل الى روين .

- يلقون القبض عليه ؟ .. ابدا . سيجد وسيلة للافلات مرة ثانية

- اتمنى له رحلة طيبة عندئذ .

ولكنه يستطع ان يفعل كل مايريد قبل ان نصل الى روين؟

- وماذا يفعل مثلا ؟

- ما أدرانى ! .. يجب ان نتوقع كل شئ .

كانت شديدة الاضطراب . والواقع ان الموقف كان يبرر الى حد ما ذلك الانفعال الشديد ، وقلت رغما عنى :

- هناك فى الواقع مصادفات غريبة .. ولكن اطمئنى . على فرض ان ارسين لوبين موجود فى هذا القطار ، فسوف يلتزم

الهدوء ، وبدلا من أن يسبب لنفسه متاعب جديدة فلن يكون له من غرض الا تحاشى الخطر الذى يتهدده .

لم تطمئنها كلماتى أبدا . ولكنها لزمت الصمت مع ذلك ، مشفقة ان تكون متطفلة .

اما انا فقد بسطت جرائدى ورحت اقرأ أنباء محاكمة ارسين لوبين . ولما كانت لاتضم شيئا لم أعرفه من قبل فانها لم تثر اهتمامى ثم اننى كنت متعبا ولم اكن قد نمت نوما طيبا وأحسست بجفنى يثقلان وبرأسى تميل .

- ولكن ياسيدى .. انت لن تنام !

انتزعت السيدة منى جرائدى ونظرت الى فى غيظ ، وأجبت :

- كلا ، بالطبع ليست بى اية رغبة فى ذلك .

قالت : سيكون ذلك حماقة كبيرة .

قلت : طبعا .

ورحت أقاوم بكل قوة متأملا المناظر التى تمر بى والى السحابات التى تخطط السماء ، ولم يلبث ان تشوش كل ذلك فى الفضاء وامحت السيدة المضطربة والسيد الناعس من ذهنى وحل محله الصمت العميق للنوم .

وسرعان ماتخللته أحلام خفيفة وغامضة احتل فيها رجل يدعى ارسين لوبين مكانا معينا ، وراح يتطور ويتحرك فى الافق وظهره محمل بأشياء نفيسة ويخترق الجدران ويفرغ القصور من رياشها .

ولكن صورة ذلك الرجل ، الذى لم يكن ارسين لوبين مع ذلك اتضحت فراح يتقدم منى ويتضخم شيئا فشيئا ، ويثب فى المقصورة فى خفة كبيرة ويجثم فوق صدرى انا بالذات .

ألم شديد . وصيحة حارة ، وصحوت . كان المسافر يحط بركبته على صدرى ويشدد الضغط على عنقى .

رأيت كل ذلك فى غموض لان عينى احتقنتا بالدم ، كما رأيت السيدة ترتعش فى مكانها وهى فريسة لازمة عصبية ، ولم أحاول المقاومة ، بل اننى لم أجد القوة لذلك . كان الطنين يدوى فى صدغى وكنت اختنق ، واكاد أموت .. دقيقة واحدة اخرى وتصعد روحى الى السماء .

ولا ريب ان الرجل أحس بذلك لأنه خفف من ضغطه ، ومن غير أن يتخلى عنى أخرج من جيبه حبلا كان قد أعد فيه أنشوطة وبحركة جافة قيد معصمى . وما هى الا لحظة حتى كنت موثقا ومكمما لا أستطيع حراكا .

قام بعمليته هذه بطريقة طبيعية جدا تدل على أنه استاذ وخبير فى مثل هذا العمل وتدل على براعته فى احتراف السرقة وارتكاب الجرائم . صفوة القول . لم تصدر منه أية حركة خرقاء، وانما برود وجرأة وكنت قابضا فى مكانى مقيدا كالمومياء ، انا ، ارسين لوبين .

والواقع انه كان هناك مدعاة للضحك ، فرغم خطورة الموقف قدرت كل ما فيه من سخرية ومتعة ارسين لوبين مقيد كما لو

كان شابا غرا يفتقر الى الحنكة والخبرة ويسلبه أول عابر أمواله بكل سهولة ، لأن اللص سلبنى طبعا واستولى على حافظتى ، انا ارسين لوبين ، أقع بدورى ضحية لمخادع وأغلب على أمرى ويالها من مغامرة مثيرة .

وبقيت السيدة بعد ذلك ، ولكنه لم يلق اليها أى اهتمام اقتنع بأن التقط الحقيبة الصغيرة التى وقعت على الأرض وأخرج منها المجوهرات وكيس النقود والتحف الذهبية والفضية التى بها. وفتحت السيدة عينا وارتجفت مذعورة وخلعت خواتمها وبسطتها اليه كما لو أنها ارادت أن توفر عليه جهدا لا طائل منه. فأخذ الخواتم ، ثم نظر اليها ، وما كاد يفعل حتى اغمى عليها .

وعندئذ ، عاد مكانه وهو صامت ومطمئن دون أن يعبأ بنا وأشعل سيجارة ، وراح يفحص غنائمه فى عناية ، وبدا أن الفحص قد أرضاه .

أما انا فلم اكن راضيا أبدا .. لست اتكلم عن الاثنى عشر الف فرنك التى سلبنى اياها ، فقد كانت تلك خسارة لم اتقبلها الا مؤقتا فقد كنت انوى بالطبع أن استردها فى اقرب وقت ، وكذلك الأوراق البالغة الأهمية التى فى حافظتى وهى عبارة عن مستندات ومشاريع مختلفة .. مخططات وعناوين وكشوف لمراسلين وخطابات خطيرة ، ولكن شغلنى فى ذلك الوقت شئ عاجل واكثر أهمية .

ما الذى سيحدث ؟

كما يدرك القارئ فان الاثارة والاهتياج اللذين سببهما مروري بالمحطة لم يغب عني . وكنت مدعوا لدى اصدقاء يعرفونني باسم جيليوم برلا . وكان شبهي بارسين لوبين مدعاة لمزاحهم ومداعباتهم بصورة محببة . ولم استطع التنكر كما يجب فعرف الناس بوجودي في المحطة ، ثم انهم رأوا رجلا لم يكن هناك أي شك في انه ارسين لوبين يسرع الى القطار السريع في آخر لحظة ويقتحمه . وعليه فان مدير بوليس مدينة روين لابد قد تم اخطاره بالبرق ، وسيكون موجودا هو وبعض رجاله في محطة روين عند وصول القطار ، لكي يستجوب المشبوهين ويقوم بتفتيش دقيق في عربات القطار .

توقعت كل ذلك ، ولم أشعر بانفعال كبير لثقتي بان بوليس روين لم يكون باكثر ذكاء من بوليس باريس ، ولأنني كنت اعرف انني سأتمكن من المرور بينهم دون ان يفطنوا الي . فيكفيني من أجل ذلك ان أظهر لهم بطاقتي التي تدل على انني عضو في مجلس النواب : وهي بطاقة سبق ان اوحت بالثقة لمدير السكة الحديد بسان لازار . ولكن أمورا كثيرة قد تغيرت فانني لم أعد طليقا ، ومن المحال ان احاول القيام باحدى خدعي المعتادة . سوف يجد مدير البوليس ، في احدى المقصورات السيد ارسين لوبين وقد ارسلته اليه الأقدار المواتية ، موثق اليدين ، وديعا كالحمل الذي ينتظر الذبح .

وما عليه الا ان يتسلمه كما يتسلم طردا من السمك أو

الخضروات .

وماذا كان باستطاعتى ان أفعل تجنبا لهذه النهاية المزعجة وانا اتلوى فى قيودى .

وكان السريع ينطلق نحو روين ، وهى المحطة الوحيدة التى يجب ان يتوقف فيها .. ومر يفرثون وسان بيير .

ثم حيرتنى مسألة أخرى لم تكن تهمنى مباشرة ، ولكنها اثارت فضولى كمحترف .. ماذا كانت نوايا الرجل ؟

لو اننى بمفردى فانه كفيل بان يجد الوقت لكى يهبط فى روين بكل هدوء . ولكن السيدة ، انه لايكاد يفتح الباب حتى ، تصرخ فى جنون وتطلب النجدة .

ومن هنا دهشتى . لماذا لا يعالجها بحيث تعجز عن الحركة مثلى وفى هذا مايتيح له الوقت الكافى للاختفاء قبل ان يلحظوا جريمته المزدوجة .

كان يدخن باستمرار وعيناه محدقتان فى الفتحة الصغيرة التى يبدو منها ان المطر قد أخذ يهطل . ومع ذلك فقد تحول وتناول دليل السكة الحديد وبدأ يتصفحه .

اما السيدة فقد حاولت البقاء على اغمائها لكى توحى بالاطمئنان الى الرجل ، ولكن سعالا خفيفا بسبب دخان السيجارة كذب ذلك الاغماء .

أما انا فكنت فى اشد الضيق والتعب .. ورحت أفكر .. وارسم الخطط . ومر السريع بمحطة بون دى لارش ثم محطة واسل

وواصل طريقة ، مرحا وثملا بسرعته

وفى محطة سانت اتيتن نهض الرجل وتقدم خطوتين نحونا ، وعندئذ صرخت المرأة واغمى عليها حقيقة .

ولكن ماذا كان غرضه هو ؟ .. خفض زجاج النافذة ، من ناحيتنا . كان المطر يهطل مدرارا عندئذ . وبدرت منه حركة تدل على الضيق لعدم وجود مظلة أو معطف معه . وألقى نظرة على الرف . كانت مظلة المرأة موجودة فوقه فأخذها وكذلك أخذ معطفى وارتداه .

وكان القطار يجتاز نهر السين ، فشمر عن بنطلونه ، وانحنى، ورفع اكرة الباب الداخلية .

هل سيلقى بنفسه فى الطريق . كان ذلك معناه الموت المؤكد. ودخل القطار النفق من ناحية سانت كاترين . وفتح الرجل الباب، وتحسس الدرجة الاولى بقدمه . ما هذا الجنون ؟ ولكن القطار ابطأ فجأة . وقلت سرعته بعد لحظة أخرى وأصبحت عادية . لم يكن هناك ريب فى انه كانت هناك اصلاحات على الخط الحديدى فى هذه الناحية تقتضى من القطارات ابطاء سرعتها . ولا ريب ان تلك الاصلاحات كانت قد بدأت منذ أيام وأن الرجل كان يعرف ذلك .

كان كل ما عليه اذن أن وضع قدمه على الدرجة الأولى وان يهبط الى الدرجة الثانية ويمضى فى هدوء . بعد ان اغلق الباب خلفه .

وما أن اختفى حتى سطع النور وأضاء البخار الأبيض المقصورة ، وخرج القطار الى واد ثم نفق آخر ، ثم بلغ روين .

واستردت السيدة وعيها على الفور . وكان اول ما فعلته هو التحسر على ضياع مصوغاتها . ونظرت اليها متوسلا ، فأدركت وخلصتنى من الكمامة التى أوشكت ان تخنق أنفاسى ، وارادت ان تفك قيودى ولكننى منعتها قائلا :

- كلا ، كلا . يجب ان يرى البوليس الأمور كما هى .. أريده ان يرى ما فعله ذلك المجرم .

- وما رأيك اذا شددت جرس الأنذار ؟

- فات الوقت . كان يجب ان تفكرى فى ذلك اثناء مهاجمته لى .

- ولكن لو أننى فعلت لقتلنى . آه ياسيدى . ألم أقل لك انه فى هذا القطار ؟ .. اننى عرفته على الفور من اوصافه .. وها هو قد هرب بجوهراتى.

- سوف يجدونه .. لا تخشى شيئا .

- يجدون ارسين لوبين ؟ .. أبدا .

- هذا رهن بك ياسيدتى . اسمعى . ما أن يصل القطار حتى تفتحى الباب وتستنجدى . أثيرى ضجة . سيسرع اليك رجال البوليس والموظفون . اذكرى لهم كل شئ .. ما رأيته واعتداءه على فى بضع كلمات وهروب ارسين لوبين .. اذكرى اوصافه .. قبعة رخوة ومظلتك .. ومعطف رمادى طويل .

قالت : معطفك .

- كيف هذا ؟ .. معطفى ؟ .. أبدا .. معطفه هو فأنا لم اكن أرتدي معطفا .

- خيل لى انه لم يكن يرتدى معطفا عندما اقتحم المقصورة.

- بلى .. بلى .. ما لم يكن معطفا نسيه أحد فوق الرف . كان يرتديه عندما هبط على كل حال ، وهذا هو المهم .. معطف طويل رمادي .. تذكرى .. آه .. كدت أنسى .. اذكرى اسمك قبل كل شئ .. ان وظيفة زوجك ستبعث الحمية فى كل اولئك الناس .

دخل القطار المحطة ، وكانت قد اسرعت وانحنت بالباب فقلت فى لهجة آمرة لكى تنحفر كلماتى فى ذهنها :

- اذكرى اسمى أيضا .. جيليوم برلا .. وقولى ، عند الضرورة ، انك تعرفينني ، فان هذا سيمنحنا بعض الوقت .. يجب ان يبادروا بالتحقيق المبدئى .. المهم هو مطاردة ارسين لوبين .. ومجوهراتك .. ليس هناك أى خطأ ، اليس كذلك ؟ .. جيليوم برلا .. صديق لزوجك .

قالت : مفهوم .. جيليوم برلا .

وراحت تستنجد وتحرك يديها . ولم يكن القطار قد توقف حتى أسرع اليها رجل يتبعه رجال آخرون ..اقبلت الساعة الحرجة.

صاحت لاهثة : ارسين لوبين .. انه اعتدى علينا .. سرق

مجوهراتى .. انا مدام رينو ، زوجة المدير المساعد لمصلحة السجون .. آه .. ها هو أخي بالذات .. جورج أرديل ، مدير بنك الكريدى بروين .. لابد انك تعرف .

وعانقت شابا أسرع لملاقاتها . وحياه مدير البوليس . فى حين عادت تقول لاهثة الانفاس :

- نعم ، ارسين لوبين .. انقض على عنق السيد وهو نائم .. مسيو برلا ، صديق لزوجى .

سألها مدير البوليس : ولكن ، أين ارسين لوبين ؟

- وثب من القطار في النفق ، بعد نهر السين .

- هل انت واثقة من أنه هو ؟

- طبعا .. كل الثقة .. لقد عرفته تماما .. ثم انهم رأوه فى محطة سان لازار . كان يرتدى قبعة رخوة .

قال مدير البوليس وهو يشير الى قبعته :

- كلا ، كلا .. انما قبعة من اللباد كهذه .

عادت مدام رينو تقول :

- بل قبعة رخوة .. اؤكد لك .. ومعطفا رماديا طويلا .

قال مدير البوليس : هذا صحيح ، فان البرقية تشير الى هذا المعطف الرمادى ، بياقة من القطيفة السوداء .

صاحت مدام رينو فى انتصار :

- بياقة من القطيفة السوداء .. تماما .

تنفست الصعداء .. آه .. يالها من صديقة شجاعة باسلة !

وكان رجال الشرطة قد حرروني من قيودي . وعضضت شفتي بشدةحتى دميت ، وانحنيت نصف انحناءة ومنديلي فوق فمي كما يتفق لشخص بقى مدة طويلة في وضع غير مريح ويحمل علي وجهه العلامة الدامية لكمامة . وقلت للمدير في صوت واهن :

- سيدي .. كان ارسين لوبين دون أي شك ، واذا أسرعتم فسوف تلحقون به ، واظن انني أستطيع ان امد لكم يد العون .

فصلت العربة التي يجب ان يستمر التحقيق فيها ثم استأنف القطار رحلته الي الهافر . وتوجهنا الى مكتب ناظر المحطة بين صفوف الفضوليين الذين ازدحم بهم الرصيف .

ترددت في هذه اللحظة . كان يمكنني ان ابتعد متذرعا بأية حجة ، وان أجد سيارتي وأهرب . والانتظار كان خطرا . فقد يحدث شئ وقد تأتي برقية فأضيع .

نعم .. ولكن سارقي .. بمفردي وبدون اية معونة ، وفي منطقة غير مألوفة تماما ، لم يكن هناك أمل في اللحاق به . وقلت احدث نفسي :

- آه . لا بأس من المحاولة ، ولأبقى .. ان اللعبة صعبة التحقيق ، ولكن من الممتع القيام بها .. والنتيجة مغرية .

وصحت أقول وهم يستعيدون أقوالنا :

- سيدى المدير .. لقد سبقنا ارسين لوبين بمدة طويلة ، وسيارتي تنتظر في الساحة ، واذا تكرمت بتشريفي بمرافقتي

فقد.

ابتسم المدير في رفق وقال :

- الفكرة ليست سيئة .. ولكنها سيئة من حيث التنفيذ .

- آه !

- نعم يا سيدى . فان رجلين من رجالى انطلقا بالدراجة .. منذ بعض الوقت .

- وأين ؟

- الى مدخل النفق بالذات . سيجمعون هناك الادلة والشهادات ويتبعون أثر ارسين لوبين .

لم أملك الا ان اهز كتفى وأقول .

- ان رجليك لن يجمعا لا ادلة ولا شهادات .

- حقا ؟

- ان ارسين لوبين سيتدبر أمره لكيلا يراه أحد وهو يخرج من النفق وسيستقل أول قطار من هناك .

- ومن هناك الى روين حيث نلقى القبض عليه .

- لن يذهب الى روين .

- اوه .. اوه .. واين سيمضى اذن ؟

أخرجت ساعتى وقلت :

- انه يحوم فى هذه الساعة بالذات حول محطة دارنتال . وفى الساعة العاشرة والدقيقة الخمسين ، اى بعد اثنتين وعشرين دقيقة سيستقل القطار المنطلق من محطة الشمال بروين الى

أمين .

- هل تعتقد ذلك ؟ .. وكيف عرفت ؟

- اوه .. ان الأمر بسيط . لقد تصفح ارسين لوبين وهو فى المقصورة دليل السكة الحديد الخاص بى ، ولا ريب انه كان يبحث عن محطة قريبة من هذه الانحاء وعن قطار يتوقف بها . وقد تصفحت الدليل بدورى ، وعرفت ذلك .

قال المدير : الحق ياسيدى انه استنتاج رائع ويدل على جدارة .. وهكذا دفعنى بحماقته إلى إظهار كل ذلك الذكاء . ونظر المدير الى فى دهشة ، واحسست بأن شكا يراوده . اوه لمجرد لحظة ، فان المصورين الصحفيين الذين اقبلوا من كل صوب وحدب جاءوا للبحث عن ارسين لوبين مختلف كل الاختلاف عن ذلك الذى أمامه ، ولكنه رغم ذلك كان مرتبكا ومنزعجا ، ومحيرا فى نفس الوقت.

وسادت لحظة صمت . شئ غامض وغير محدد أوقف كلماتنا . وانا نفسى ، سرت القشعريرة فى بدنى .هل سينقلب الموقف فى غير صالحى . وتمالكت نفسى ورحت أضحك ، وقلت :

- لاشئ ينير الذهن مثلما ينير ضياع حافظة والرغبة فى العثور عليها وارى انك اذا سمحت لى باصطحاب رجلين من رجالك فقد نستطيع .

صاحت مدام رينو فى هذه اللحظة :

- اوه ، ارجوك ياسيدى المدير .. استمع الى مسيو برلا .

كان تدخل صديقتى الرائعة حاسما ، فانها وهى تنطق باسم برلا جعل المدير يصدق انه اسمى حقا ، واكسبنى الاسم شخصية لا يمكن لأى شك ان يرقى اليه . وقال وهو ينهض :

- يسعدنى جدا يا مسيو برلا ان تمد لنا يد العون ، هذا فضلا عن اننى شديد الرغبة فى القبض على ارسين لوبين .

وتقدمنى حتى السيارة وقدم الى رجلين من رجاله : هونوريه ماسول وجاستون ويليفيه وجلسا فى السيارة ، وجلست أمام عجلة القيادة وادار الميكانيكى ذراع المحرك . وبعد بضع ثوان غادرنا المحطة ونجوت .

آه . اعترف بأننى كنت فخورا جدا والسيارة تبتعد بنا عبر شوارع المدينة بكل سرعة . وما أن خرجنا من المدينة حتى لم يعد أمامى الا العثور على ارسين لوبين بمساعدة الشرطيين .

مساعدة متواضعة من النظام الاجتماعى .. ويلفيه جاستون وماسول هونوريه ، لقد كانت مساعدتكما لى ثمينة ولا ادرى ماذا كنت افعل بدونكما فقد اخطأت الطريق اكثر من مرة ولولاكما لأخطأ ارسين لوبين ولأفلح الآخر فى النجاة !

ولكن لم يكن كل شئ قد انتهى بعد . كان لابد لى قبل كل شئ ان ألحق بالرجل وان استرد الأوراق التى سلبنى اياها .وكان من الضرورى أن يتدخل الشرطيان بأية صورة اثناء استردادى لتلك الأوراق وألاتقع اعينهما عليها . كان يجب ان استعين بهما وان اتصرف بعيدا عنهما فى نفس الوقت ، ولم يكن هذا بالأمر

السهل .

وصلنا الى دارتنيال بعد انطلاق القطار بثلاث دقائق . وصحيح انني شعرت بشئ من العزاء عندما علمت ان رجلا يرتدي معطفا رماديا بياقة من القطيفة السوداء استقل ذلك القطار باحدى مقصورات الدرجة الثانية ومعه تذكرة الى أميينى . كانت بداياتي كرجل بوليس تبشر بالخير بالتأكيد .

وقال لي ديليفيه :

- ان القطار سريع ولايتوقف الا في مونترروليه بعد تسع عشرة دقيقة . اذا لم نصل هناك قبل أرسين لوبين فسيستطيع مواصلة الطريق حتى اميينى ، كما يمكنه الهبوط في كليرس وان يمضى الى دييب او باريس .

- مونترروليه ؟ ... ماالمسافة ؟

- ثلاثة وعشرون كيلومترا .

- ثلاثة وعشرون كيلومترا في تسع عشرة دقيقة ... ستكون هناك قبله.

وكانت رحلة مثيرة . لم تستجب سيارتي لي أبدا كما استجابت في ذلك اليوم ، فقد شاركتني رغباتي ووافقتني على اصراري ، وادركت حقدي على ذلك الوغد أرسين لوبين .. لوبين المخادع ، الخائن . فهل أتغلب عليه . وهل يتلاعب مرة أخرى مع السلطة التي كنت أنا التجسيد لها ؟

قال ديليفيه : الى اليمين .. والآن الى اليسار . والى الأمام

قدما .

كانت السيارة تنساب فوق الأرض ، وعلامات الطريق تختفي أمامنا بسرعة عجيبة . وفجأة ، عند المنحنى .. زوبعة من الدخان: سريع الشرق .

وكنا على الرصيف في ثلاث ثوان ، أمام عربات الدرجة الثانية ، وانفتحت الأبواب وهبط بعض الأشخاص . ولم يظهر سارقنا . وفحصنا المقصورات . لم يكن هناك أثر لأرسين لوبين .

صحت : ياالهى ! لاريب انه عرفنى فى السيارة ونحن ننطلق بجوار القطار ووثب منه .

اكد مفتش القطار هذا الافتراض ، فقد رأى رجلا يجرى بجوار اكوام التراب على بعد مائتى متر من المحطة .

- هاهوذا .. ذلك الذى يجتاز الزلقان .

عدوت ، والشرطيان من خلفى ، او بالأحرى ، يتبعنى أحدهما لأن الآخر ، ماسول ، اتضح انه عداء استثنائى وسريع البديهة . وفى بضع لحظات قلت المسافة التى تفصلنا عن الهارب بصورة كبيرة . ورأى الرجل ذلك فاجتاز سياجا ، وجرى بكل سرعته نحو ربوة اعتلاها ، ورأيناه أبعد من ذلك . وولج غابة صغيرة .

وعندما بلغنا تلك الغابة ، كان ماسول ينتظرنا . رأى أن لايجازف اكثر من ذلك مخافة من أن نفقده . وقلت له :

- انني اهنئك ياصديقى العزيز ، فبعد سباق كهذا لاريب أن

صديقنا يلهث الآن لقد وقع فى قبضتنا .

فحصت الأنحاء وانا أفكر فى نفس الوقت فى الوسائل التى أقوم بها للقبض على الهارب حتى استعيد أنا نفسى أشياء لن تسمح بها العدالة الا بعد اجراءات بغيضة . ثم عدت إلى صاحبى وقلت :

- اليكما ماسوف نفعل . ان الأمر بسيط . فأنت ياماسول ستقف هنا ، على اليسار ، وأنت ياديلفيه على اليمين . ومن مكانيكما يمكنكما مراقبة مؤخرة الغابة ، فلا يمكن ان يخرج من غير أن ترياه ، الا من هذه الناحية . واذا لم يخرج فسأدخل أنا . وسأجبره على الخروج من ناحيتكما . وماعليكما اذن الا الانتظار. آه .. كدت أنسى . اذا حدث مايريب فاطلقا رصاصة .

ابتعد ماسول وديليفيه ، كل من ناحيته . وما أن اختفيا حتى توغلت فى الغابة بكل حرص لكيلايرانى أو يسمعنى .

كانت أدغال سميكة مقامة للصيد تقطعها ممرات ضيقة جدا لم يكن من اليسير السير فيها الا بالانحناء كما لو أن المرء يسير فى سراديب من الخضرة .

كانت احدى هذه الأدغال تنتهى الى مرج ، رأيت فى العشب الرطب منها آثار أقدام ، فتبعتها وأنا أحرص على ألايصدر منى صوت . وانتهيت الى سفح أكمة تطوق كوخا يكاد ينهار . وفكرت :

- لابد أنه هنا .. انه اختار مكانا ممتازا للمراقبة .

زحفت حتى صرت بجوار الكوخ . نبهتنى حركة الى وجوده . والواقع اننى رأيته من فتحة صغيرة انه يولينى ظهره .

هجمت عليه فى وثبتين ، حاول أن يصوب الى مسدسا كان فى يده ، ولكننى لم ادع له الوقت لذلك ، وجررته الى الأرض بحيث وقع تحت ذراعيه الملتويتين ، وضغطت بركبتى على صدره وهمست فى اذنه :

- اسمع يا صاحبى . أنا ارسين لوبين ، سوف ترد لى على الفور وبطيب خاطر حافظتى وحقيبة السيدة ، وسأخلصك من رجال البوليس نظير ذلك، وأضمك الى رجالى . كلمة واحدة : نعم أم لا .

تمتم : نعم .

- هذا أفضل . انك أحسنت تدبير خطتك اليوم وسوف نتفاهم

ونهضت ، ومد هو يده الى جيبه وأخرج سكينا كبيرة أراد أن يطعننى بها فصحت : ايها الغبى !

وتحاشيت الطعنة بيد ، ووجهت اليه بيدى الأخرى ضربة عنيفة من مكان حساس فى عنقه فوقع صريعا .

وجدت فى حافظتى أوراقى الخاصة والأوراق المالية . وبدافع من الفضول أخذت محفظته ، وقرأت على خطاب مسجل اسمه : بيير أونفرى .

أجفلت .. بيير أوتفرى ! . قاتل شارع لأمونتين فى أوتيى . بيير أونفرى ، ذلك الذى ذبح مدام دوبدا وابنتيها . وانحنيت فوقه

نعم . هذا الوجه أيقظ فى ذهنى فى المقصورة ذكرى ملامح سبق أن تأملتها .

ولكن الوقت كان يمر . وضعت فى مظروف ورقتين ماليتين بمائة فرنك ومعهما بطاقة بها هذه الكلمات : من ارسين لوبين الى مساعديه الطيبين هونوريه ماسول و جاستون ديليفيه تقدير لامتنانى لهما .. ووضعت فى مكان ظاهر من الغرفة ، وبجواره حقيبة مدام رينو . أكان يمكننى ألا أردها اليها ، تلك الصديقة الرائعة التى عاونتنى ؟ ومع ذلك فاننى أعترف أننى أخذت منها كل ما يمثل فائدة لى . ولم أترك فيها غير مشط واصبع أحمر للشفاة ومحفظة نقود فارغة ، فماذا تريد . ان الأعمال هى الأعمال ، وان زوجها يزاول مهنة بغيضة .

بقى الرجل .. بدأ يتحرك . ماذا كان يجب أن أفعل ؟ لم تكن لى صفة لكى أنقذه أو لكى أدينه .

أخذت أسلحته ، واطلقت رصاصة فى الهواء وفكرت :

- سيأتى الآخران . فليتدبر أمره . ستجرى الامور وفق مصيره .

وابتعدت ركضا عبر الطريق المعقد .

وبعد عشرين دقيقة أعادنى طريق مختصر كنت قد لاحظته الى سيارتى .

وفى الساعة الرابعة أبرقت لأصدقائى فى روين أن حادثا طارئا اضطرنى الى تأجيل زيارتى . وفيما بيننا أخشى تماما ،

نظرا لما يعلمونه الأن ، أن تؤجل زيارتى الى مالا نهاية . وهو أمر مخيب لهم .

وفى الساعة السادسة عدت الى باريس عن طريق انفيان وباب بينو وعلمت من جرائد المساء أنهم افلحو فى القبض على بيير أونفرى .

* * *

وفى صباح اليوم التالى ، وحرصا منى على الدعاية التى تروق لى نشرت جريدة ايكو دى فرانس النبأ المثير التالى .

" ساهم ارسين لوبين ، مساء فى انحاء بوشى ، بعد أحداث عدة فى القبض على بيير أونفرى ، فقد سلب قاتل شارع لافونتين ، فى قطار باريس المنطلق الى الهافر مجوهرات مدام رينو ، زوجة مساعد مدير السجون . وقد اعاد ارسين لوبين لها الحقيبة التى كانت تحتوى على تلك المجوهرات ، وكافأ بسخاء الشرطيين اللذين عاوناه فى هذا القبض المأساوى " .

* * *

٥
السبعة الكبة

طالما ألقى على هذا السؤال :

- كيف عرفت ارسين لوبين .

ما من أحد يشك فى أننى أعرفه ، فالحقائق التى أجمعها عن هذا الرجل المحير والوقائع التى لا يمكن دحضها ، والأدلة الجديده التى أعلل بعض الاعمال التى لم يروا غير مظهرها الخارجى دون ان يفهموا أسبابها الغامضة ولا ميكانيكتها الخفية، كل ذلك ، وان كان يثبت صلة وثيقة يجعلها وجود ارسين لوبين بالذات مستحيلة الا أنه يدل على الأقل على وجود صلات ودية ولقاءات متتابعة .

ولكن كيف عرفته ؟ وكيف تميزت بأن اكون راويا لمغامراته لماذا أنا دون أى أحد آخر؟

والجواب على ذلك بسيط ، فان الصدفة وحدها هى التى خلقت هذا الاختيار الذى لم يكن فيه اية جدارة . الصدفة هى التى دفعتنى إلى طريقه ، والصدفة هى التى جعلتنى أشترك فى أكثر مغامراته غموضا ، والصدفة هى التى جعلت منى ممثلا فى مأساة كان هو مخرجها الرائع ، مأساة غامضة ومعقدة

محفوفة بأحداث غير متوقعة بحيث أشعر ببعض الحيرة وانا أبدأ في سردها .

وقع الفصل الأول من تلك المأساة في الليلة الثانية والعشرين من شهر يونية ، تلك الليلة التي مازالت ذكراها ماثلة في الأذهان وحتى انا ، فأبادر وأقول أن تصرفي الغريب في تلك الليلة انما يرجع الى الحالة الذهنية التي كنت اعانيها عند عودتي الى البيت فقد تناولت العشاء انا وبعض الأصدقاء في مطعم "لاكاسكاد" ، وطفقنا طوال الليل ونحن ندخن ونستمع الى الاوركسترا الغجري يعزف الحان رقصات الفالس الحزينة ، نتحدث عن الجرائم والسرقات والمؤامرات الغامضة المفزعة . ومثل هذا الحديث يؤرق المرء بحيث يجافيه النوم .

وانصرف آل سان مارتان في سيارتهم ، في حين نسيت انا وجان داسبري ، ذلك الشاب الظريف المسالم الذي لقي حتفه بعد ذلك بستة شهور على حدود مراكش بطريقة مفزعة ، مشيت انا وجان داسبري اذن سيرا على الأقدام ، في ليلة مظلمة ساخنة الجو، وعندما بلغنا المسكن الصغير الذي اقيم فيه منذ اثني عشر شهرا ، في شارع مايو بنويي ، قال لي :

- ألا تشعر بالخوف ابدا ؟

- ما هذا السؤال ؟

- ان له ما يبرره ، فالمسكن يقع في بقعة منعزلة ، بعيدة عن الجيران وفي أرض فضاء . ومع انني لست جبانا الا أنني .

- حسنا .. انت شديد المرح حقا .

- اننى أقول هذا كما أقول أى كلام آخر ، فان آل سان مارتان قد اثاروا انفعالى بحديثهم عن الأشرار واللصوص .

وشد على يدى وابتعد . وأخرجت مفتاحى وفتحت الباب ، وتمتمت أقول :

- آه .. يبدو أن أنطوان نسى ان يضيئ لى شمعة .

وتذكرت فجأة أن أنطوان غائب واننى منحته أجازة . على الفور أزعجنى الظلام والصمت ، وارتقيت الدرج متحسسا طريقى باسرع ما أمكننى ثم أغلقت الباب وأدرت المفتاح وأوصدته بالمزلاج وانا اتنهد في ارتياح ، على غير عادتى .

أعاد لى ضوء الشمعة رباطة جأشي . ومع ذلك فقد حرصت على اخراج مسدسى ، وهو مسدس ضخم طويل المدى ، ووضعته فوق الفراش بجوارى . وهدأنى هذا الحرص أخيرا ، فاستلقيت فوق الفراش ، وتناولت الكتاب الذى ينتظرنى ويساعدنى على النوم كل ليلة .

ودهشت جدا لأن قطاعة الورق التى وضعتها بين صفحات الكتاب عند الصفحة التى توقفت عندها بالأمس لم تكن مكانها ، وانما استبدلت بظروف مختوم بالشمع الأحمر فى خمسة مواضع فتناولته مسرعا ورأيت عليه اسمى وعنوانى ومعهما كلمة "عاجل" .

رسالة .. وباسمى ؟ .. من ذا الذى وضعها فى كتابى .

فضضت المظروف فى انفعال وقرأت :
" ما أن تفتح هذا المظروف وتلقى نظرة على الرسالة فعليك ألا تتحرك مهما حدث ومهما تسمع . لا تتحرك ولا تصرخ والا فانت من الهالكين : .
وانا الآخر لست جبانا . وأعرف كغيرى كيف اواجه خطرا حقيقيا ، أو أن ابتسم للاخطار الوهمية التى قد تستحوز على المخيلة . ولكننى أعود فأقول اننى كنت فى حالة ذهنية غير عادية ، وشديد الانفعال ، ثم أنه كان فى كل ما حدث شى تعذر على فهمه ويزعزع كيان أشد الناس جرأة واقداما .
راحت أصابعى تضغط على الورقة فى عصبية ، فى حين أخذت عيناى تطالع عبارات التهديد المرة بعد المرة " لا تتحرك ولا تصرخ والا فأنت من الهالكين " . وفكرت :
- ما هذا الخوف ! ان هى الا دعابة سمجة ومزحة غبية .
وأوشكت ان أضحك ،بل اردت أن أضحك بصوت مرتفع ، فما الذى منعنى ، وما هذا الخوف الذى يطبق على أنفاسى ؟
فكرت فى أن أطفئ الشمعة على الأقل ، ولكننى لم أستطع، فالرسالة واضحة ، تقول : لا حركة والا فأنت من الهالكين .
ولكن لماذا أتصارع مع هذه الايحا ءات وهى فى اكثر الاوقات اشد الحقائق وضوحا . لم يكن على الا أن اطبق عينى وقد اطبقتهما .
وفى نفس اللحظة صدر صوت قطع حبل الصمت ثم طقطقة .

وبدا لى أن ذلك صادر من الغرفة الكبيرة التى اتخذتها مكتبا لى والتى تفصلنى عنها طرقة صغيرة .

وألهب اقتراب الخطر شعورى ، وخيل لى اننى سأنهض وأمسك بالمسدس وأسرع الى تلك الغرفة ، ولكننى لم أنهض ، فقد تحركت احدى ستائر النافذة التى أمامى .

لم يكن هناك أى شك . لقد تحركت ، ومازالت تتحرك . ورأيت اوه رأيت ذلك بوضوح . كان بين الستارة والنافذة فى تلك المسافة الضيقة جسم انسان . ورآنى هو الآخر . كان من المؤكد أنه يرانى من خلال ثقوب الستارة الواسعة . وأدركت عندئذ كل شئ . بينما كان الآخرون ينقلون غنائمهم ، كانت مهمته هى ارغامى على التزام الهدوء . هل أنهض وآخذ المسدس؟ .. كان ذلك محالا فقد كان أمامى ، وأقل حركة منى أو صرخة اكون من الهالكين .

هزت البيت طرقة عنيفة تبعتها طرقات أخرى ، على مرتين أو ثلاث، كضربات مطرقة فوق أشياء معدنية يرن صداها . أو هذا ما تخيلته على الأقل ، فى الحالة الذهنية التى كنت أعانيها . وأعقبتها أصوات أخرى .. ضجة حقيقية تدل على عدم اكتراث الذين يصدرونها وعلى أنهم يتصرفون وهم مطمئنون تمام الاطمئنان

وكانوا على حق ، فاننى لم أتحرك . أكان ذلك بدافع الخوف؟ كلا وانما كان بدافع الارهاق والعجز التام عن الحركة . وربما

بدافع الحكمة أيضا ، اذ لماذا أكافح ووراء هذا الرجل عشرة آخرون سيهبون لنجدته ، فهل أجازف بحياتى لانقاذ بضع لوحات وسجاجيد وبعض التحف ؟

ودام هذا العذاب طوال الليل .. عذاب لايطاق وهلع مريع . كانت الضجة قد انقطعت ، ولكننى لم اكف عن توقيع سماعها من جديد . والرجل ؟ الرجل الذى يراقبنى وسلاحه فى يده ، لم يفارقه بصرى. كان قلبى يخفق بشدة والعرق يتصبب من جبينى ومن كل جسمى .

وفجأة غمرنى احساس غريب .. احساس بالراحة ، فقد مرت بالشارع عربة اللبن ، وكنت اعرف صوتها جيدا . واحسست فى نفس الوقت بأن نور الفجر يتسلل من مصراعى الشباك المقفلتين ، وان خيوط النهار بدأت تغزو ظلام الليل .

ودخل نور النهار الغرفة ، ومرت عربات أخرى ، وتلاشت كل أشباح الليل .

وأخرجت ذراعى من الفراش ، فى بطء وحذر . ولم يتحرك شئ أمامى . وحدقت فى طية الستارة فى المكان المحدد الذى يجب أن أصوب اليه . وتوخيت الحرص فى كل ما يجب أن أفعل، وأسرعت فأمسكت، بالمسدس . وأطلقت النار .

ووثبت من الفراش وانا أطلق صيحة نجاة من خطر محقق وأسرعت الى الستارة ، ورأيت بها ثقبا . كما رأيت ثقبا آخر فى زجاج النافذة . أما الرجل فلم أستطع اصابته .. لسبب وجيه وهو

أنه لم يكن هناك أحد .

لم يكن هناك أحد . وهكذا تجمدت عن الحركة طوال الليل بسبب طية فى الستارة . واثناء ذلك الوقت كان اللصوص .. وفى وثبة غاضبة ، ما كان لأى شئ أن يوقفها ، أدرت المفتاح فى القفل ورفعت المزلاج وفتحت الباب واجتزت الطرقة وفتحت بابا آخر واندفعت الى غرفة المكتب .

ولكن الدهشة جمدتنى على العتبة ، حيث وقفت الهث . وكانت دهشتى أعظم من تلك التى أحسست بها لعدم وجود الرجل ، فلم يختف شئ . كل الأشياء المعلقة التى افترضت أنها سرقت .. كل شئ كان موجودا مكانه .. اللوحات والسجاجيد والتحف .

كان منظرا غير معقول . لم أصدق عينى ، ومع ذلك فتلك الضجة وتلك الأصوات التى تدل على أن الأشياء تنقل من أماكنها . وطفت بأرجاء الغرفة ، وفحصت الجدران ، وراجعت كل الأشياء التى كنت أعرفها جيدا . لم ينقص منها شئ . ثم ان الأمر الذى أثار حيرتى اكثر هو أننى لم أجد ما يدل على مرور أى لص .. ولا أثر واحد ولا مقعد تغير موضعه ، ولا أثر لقدم . وقلت أحدث نفسى وانا أدفن رأسى بين يدى : ومع ذلك فأنا لست مجنونا .. اننى سمعت كل ذلك حقا .

ورحت أفحص الغرفة ثانية ، بكل دقة ، ولكن عبثا . أو بالأحرى .. ولكن اذا كان يجب أن أعتبر ذلك اكتشافا .. فتحت

بساط فارسي صغير ملقى على الأرض وجدت ورقة .. ورقة من أوراق اللعب . كانت سبعة كبة ، أشبه بكل اوراق اللعب الكبة الفرنسية .ولكنها استرعت انتباهي بسبب نقطة غريبة جداً ، فقد كانت كل الاطراف السفلى للقلوب الحمراء السبعة مثقوبة ثقبا مستديرا ومنتظما كما لو أن نفس المثقب هو الذى أحدثها .

كان ذلك كل شئ .. ورقة من اوراق اللعب ، ورسالة داخل كتاب ، ولا شئ غير ذلك . اكان فى هذا ما يكفى للدلالة على أننى لم اكن ضحية حلم .

***

تابعت أبحاثى فى الغرفة طوال اليوم . كانت غرفة كبيرة تتناقض مع صغر المسكن ، تدل ديكوراتها على غرابة ذوق مصممها . كانت الأرضية من بلاط الموزايكو الصغير المتعدد الألوان ، مكونا رسومات عريضة متناسقة ، ونفس البلاط الموزايكو يكسو الجدران فى شكل رسومات رومانية وبيزنطية على طراز العصور الوسطى ، من بينها اله الخمر باكوس يعتلى برميلا وامبراطورا على رأسه تاج من الذهب له لحية طويلة وفى يده اليمنى سيف .

وفى مكان مرتفع منها تقع النافذة الوحيدة ، وهى مفتوحة دائما طوال الليل ، ومن المحتمل ان الرجال دخلوا منها مستعينين بسلم ، ولكن لم يكن هناك أى دليل على ذلك فى هذه الناحية

أيضا ، فان قائمتى السلم كان يجب أن تتركا أثرا على أرض الفناء فى حين أنه لم يكن هناك أى أثر ، لا على الأرض ولا على العشب .

وأعترف بأننى لم افكر فى ابلاغ البوليس ، لأن الحقائق التى كان يجب ان اقدمها كانت مائعة وسخيفة بحيث كنت سأتعرض لسخريتهم . ولكن مغامرتى تلك ظلت تلاحقنى وتلح على بحيث رويتها كلها فى جريدة جيل بلاس فى اليوم التالى ، وهو اليوم المحدد لكى أنشر فيه مقالى الاسبوعى .

ولم يمر المقال مر الكرام رغم اننى رأيت الناس لم يأخذوه مأخذ الجد وانهم اعتبروه قصة من وحى الخيال اكثر منها قصة حقيقية ورغم سخرية آل سان مارتان ، . فإن داسبرى ، وهو خبير فى مثل هذه الأمور أتى لمقابلتى واستمع الى قصتى ودرسها . من غير ان يوفق مع ذلك .

ولكن فى صباح أحد الأيام التالية دق جرس الباب ، وجاء انطوان ليخبرنى بان سيدا يريد أن يرانى ولم يشأ ان يذكر اسمه فأذنت له بالدخول .

كان رجلا فى نحو الأربعين من عمره ، شديد السمرة ، بادى النشاط ، ثيابه نظيفة وان كانت مستهلكة ، ولكنها تدل على حبه للاناقة ، وهى اناقة تتناقض مع مسلكه .

قال دون أى تمهيد ، وبصوت مبحوح وبلكنة اكدت لى وضعه الاجتماعى :

- كنت مسافرا ، وجلست فى احدى المقاهى ووقع تحت بصرى عدد من جريدة جيل بلاس ، وقرأت فيها مقالك .. وقد أثار اهتمامى كثيرا .

- أشكرك .

- وعدت من السفر .

- آه .

- أجل . لكى اتحدث اليك . هل الوقائع التى سردتها صحيحة ؟

- كل الصحة .

- اليس فيها أية واقعة من وحى خيالك ؟

- كلا .

- اذا كان الأمر كذلك فربما يمكننى ان ازودك ببعض المعلومات .

- اننى مصغ اليك .

- كلا .

- ماذا تعنى ؟

- قبل ان اتكلم يجب أن اتحقق من صحتها .

- ولكى تتحقق منها ؟

- يجب ان ابقى بمفردى فى تلك الغرفة .

نظرت اليه مشدوها وقلت : لست أفهم تماما .

- هى فكرة طرأت لى وانا أقرأ مقالك . بعض النقاط تتطابق

بصورة مدهشة مع مغامرة كشفتها لى الصدفة . فاذا كنت مخطئا فمن الأوفق ان التزم الصمت ، والوسيلة الوحيدة لمعرفة ذلك هى ان أبقى بمفردى .

ماذا كان وراء هذا الاقتراح ؟ تذكرت فيما بعد أن الرجل كان يبدو عليه القلق وهو يطلب منى ذلك . ولكننى فى ذلك الوقت ، رغم ما اعترانى من الدهشة لم أجد فيما يطلب شيئا غريبا . ثم ان فضوله أثارنى فقلت :

- ليكن . كم يلزمك من الوقت .

- اوه ، ثلاث دقائق لا اكثر . سوف أنضم اليك بعد ثلاث دقائق .

خرجت من الغرفة . وعندما هبطت أخرجت ساعتى . ومرت دقيقة ثم دقيقتان . لماذا أشعر بهذا الضيق ؟ ولماذا بدت لى تلك اللحظات طويلة لا تنتهى؟

دقيقتان ونصف .. دقيقتان وخمس واربعون ثانية ، وفجأة دوى طلق نارى ، فصعدت السلم وثبا ودخلت . وافلتت منى صيحة هلع .

كان الرجل ملقى فى وسط الغرفة بلا حراك ، على جانبه الايسر يسيل الدم من رأسه وقد تناثر مخه وبجوار يده مسدس لا يزال الدخان يتصاعد من فوهته . وسرت في بدنه رعشة ، وكان هذا كل شئ .

ولكن أثارنى شئ آخر اكثر من ذلك المنظر المروع . شئ

جعلنى لا أطلب النجدة على الفور ولا أن ارتمى على ركبتى لكى اری اذا كان الرجل لا يزال يتنفس ، فعلى بعد خطوتين رأيت على الارض سبعة كبة .

التقطتها . كانت أطراف القلوب السبعة مثقوبة كلها .

***

أقبل مأمور بوليس مدينة نوبى بعد نصف ساعة ، ثم الطبيب الشرعى ، ثم مدير الأمن ، مسيو ديدوا ، وكنت قد حرصت على ألا المس الجثة حرصا على سلامة التحقيق .

وانتهى التحقيق سريعا حيث لم يكتشفوا شيئا .. فلم يجدوا فى جيوب القتيل اية أوراق ، ولا فى ثيابه أى اسم ، ولا أى دليل يمكنهم من معرفة شخصيته ، ولم يكن هناك أى تغيير فى الغرفة ، فلم ينقل أى شئ من مكانه . وبقى كل شئ فى موضعه وفى نفس وضعه . ومع ذلك فان هذا الرجل لم يأت الى لكى ينتحر فى بيتى فحسب ، أو لأنه رأى ان بيتى خير مكان مناسب للانتحار . لابد أن هناك دافعا دفعه الى هذا العمل اليائس ، وان هذا الدافع بالذات نتج من واقعة جديدة رآها هو نفسه أثناء الدقائق الثلاث التى قضاها بمفرده .

ولكن أية واقعة ؟ .. وماذا رأى ؟ وماذا اكتشف ؟ وأى سر رهيب أطلع عليه ؟ لم يكن هناك أي افتراض يمكن التفكير فيه .

ولكن حدث شئ فى اللحظة الأخيرة بدا لنا ذا فائدة كبيرة فعندما انحنى شرطيان لنقل الجثة الى محفة رأينا أن اليد اليسرى التى كانت مطبقة قد تراخت وافلتت منها بطاقة زيارة .

كانت باسم جورج أندرمات ، شارع دى بيرى رقم ٣٧ مامعنى ذلك ؟ كان جورج أندرمات من كبار رجال المال فى باريس ، مؤسس ورئيس مجلس ادارة بنك المعادن الذى ساهم فى دفع الصناعات المعدنية فى فرنسا تلك الدفعة . كان يعيش عيشة مترفة ، يمتلك سيارات واسطبلا لخيول السباق ويتوافد علية القوم إلى حفلاته ، وزوجته ، مدام اندرمات اشتهرت بجمالها وفتنتها . وتمتمت :

- أيكون هذا اسم القتيل ؟

ولكن رئيس الامن انحنى وقال :

- انه ليس هو . ان مسيو أندرمات رجل مصفر اللون وخط شعره المشيب .

- ولكن لماذا هذه البطاقة اذن ؟

- الديك تليفون أيها السيد ؟

- نعم . فى الردهة .. اذا تكرمت برافقتى .

وبحث فى دليل التليفونات وادار رقم ٤١٥٢١ وقال :

- هل مسيو أندرمات موجود ؟ قل له ان مسيو ديدوا يطلب منه المجئ بكل سرعة الى رقم ١٠٢ بشارع مايو .. لأمر

عاجل .

وبعد عشرين دقيقة كان مسيو أندرمات يهبط من السيارة وعرضوا عليه الأسباب التى تستدعى مجيئه ، ثم مضوا به الى حيث الجثة .

توتر وجهه وبدا عليه الأنفعال لحظة ، وقال فى صوت خافت كما لو كان يتكلم رغما عنه :

- اتيين فاران .
- هل تعرفه ؟
- كلا . أو على الأقل نعم .. ولكننى أعرفه بالنظر فحسب .. واخوه ..
- أله أخ ؟
- نعم .. الفريد فاران . جاءنى هذا الأخير ذات مرة يلتمس منى .. لا ادرى ، فقد نسيت .
- واين يقيم ؟
- اعتقد ان الاخوين كانا يقيمان معا فى شارع بروفانس .
- أولا تعرف الاسباب التى دعت هذا الرجل الى الانتحار ؟
- أبدا .
- ومع ذلك فقد كانت بطاقتك فى يده .. بطاقتك وعليها عنوانك .
- انا لا أفهم شيئا . ليست هذه الا مصادفة بالطبع ، وسوف يكشف التحقيق لنا عنها .

خطر لى انها مصادفة عجيبة طبعا . واحسست ان هذا الخاطر يجمع بيننا جميعا .

ووجدت نفس هذا الاحساس فى جرائد اليوم التالى ، ولدى جميع اصدقائى الذين تحدثت معهم عن هذه المغامرة . وفى وسط ذلك الغموض الذى يحيط بها ، وبعد الاكتشاف المزدوج والمثير للحيرة لورقتى السبعة الكبة ذات السبعة ثقوب ، وبعد الحادثين الغامضين اللذين وقعا فى مسكنى ، بدا لى ان تلك البطاقة تلقى قليلا من الضوء وانها قد تقودنا الى الحقيقة .

ولكن ، على عكس كل التوقعات لم يقدم مسيو أندرمات أى تعليل ، وعاد يقول :

- اننى ذكرت كل ما أعرفه ، فماذا تريدون اكثر من ذلك ؟ كنت اول المتعجبين لوجود بطاقتى هنا ، وأنتظر ، كغيرى ، أن تتضح هذه النقطة .

ولكن لم يتضح أى شئ . وأثبتالتحقيق أن الأخوين فاران ، وهما من أصل سويسري ، قضيا حياة مضطربة باسماء مختلفة وانهما كانا يختلفان الى نوادى القمار ، وعلى علاقة بعصابة من الأجانب الذين يراقبهم البوليس ، تشتت بعد سلسلة من السرقات لم يثبت اشتراكهم فيها الا فيما بعد . أما رقم ٢٤ بشارع بروفانس فقد ثبت أن الأخوين فاران أقاما فيه قبل ذلك بست سنوات ولم يعرف أحد ما حدث لهما بعد ذلك .

وأعترف ، من جانبى ، بأن هذه القضية بدت لى معقدة جدا

بحيث لم أعتقد أبدا بامكانية حلها . ولكن جان داسبرى ، الذى كنت اراه كثيرا فى ذلك الوقت ابدى اهتماما كبيرا بها على العكس منى .

وهو الذى لفت نظرى الى نبأ نشرته جريدة أجنبية ونقلته عنها كل الصحف الفرنسية وهذا نصه :

" ستقام أمام الامبراطور فى مكان يحتفظون بسريته حتى اللحظة الاخيرة اول تجربة لغواصة جديدة سوف يكون لها دوى كبير فى الحروب البحرية مستقبلا . وقد جاءنا من مصدر سرى ان الاسم الذى ستعرف به هذه الغواصة " هو السبعة الكبة " .

السبعة الكبة ، أكانت هذه مصادفة طارئة أم أن هناك صلة بين اسم الغواصة وبين الأحداث التى سبق ان تكلمنا عنها ؟ ولكن ما طبيعة هذه الصلة . ان ما يحدث هنا ، فى فرنسا ، لا يمكن ان تكون له أية صلة بما يحدث هناك ، فى ألمانيا .

وقال جان داسبرى :

- وما أدراك ؟ .. ان اكثر الأعـمال تباينا مصدرها واحد غالبا .

وفى اليوم التالى جاءنا نبأ آخر .

" يقال ان تصميمات الغواصة المعروفة باسم "السبعة الكبة " التى سيجرى تجربتها قريبا قد اخترعها مهندسون فرنسيون ، وان هؤلاء المهندسين التمسوا معاونة مواطنيهم عبثا وانهم لجأوا بعد ذلك الى القيادة البحرية الانجليزية وقوبلوا بالرفض كذلك . ونحن

ننشر هذا النبأ تحت كل التحفظات " .

ولا أجرؤ على سرد الاحداث الحساسة والخطرة التى تسببت ، كما يذكر القراء فى أشد الانفعالات . ومع ذلك ، ومادام خطر أية مضاعفات قد تبخر فلابد لى من أن أذكر المقال الذى نشرته جريدة ايكو دي فرانس والذى تسبب فى ضجة كبيرة وألقى بعض الضوء رغم غموضه على قضية السبعة الكبة ، كما عرفت بهذا الاسم فى ذلك الوقت .

واليكم المقال الذى ظهر بتوقيع سلفاتور

***

٦

قصة السبعة الكبة
اماطة جانب من الغموض

" سوف نوجز . منذ عشر سنوات استقال مهندس شاب يعمل بالمناجم لكى يكرس وقته وماله للدراسات التى كان يقوم بها . واستأجر منزلا صغيرا بشارع مايو رقم ١٠٢ ، شيده قبل ذلك بقليل كونت ايطالى وأشرف على عمل ديكوراته ، وعاون المهندس الشاب رجلان ، هما الأخوان فاران ، من لوزان كان أحدهما يساعده فى أعماله فى حين كان الآخر يبحث له عن شركاء ماليين . ونشأت علاقة بينه وبين جورج أندرمات وكان قد أسس بنك المعادن حديثا .

" وبعد العديد من المقابلات أفلح فى اثارة اهتمام أندرمات بمشروع غواصة كان يشتغل فيه، وتم الاتفاق بينهما على ان يقوم مسيو أندرمات ، بمجرد اتمام الاختراع ، باستخدام نفوذه لكي تقوم وزارة الدفاع بسلسلة من التجارب .

" وتردد لويس لاكومب طوال عامين على مسكن أندرمات بصفة مستمرة . وكان يعرض على المالى التحسينات التى يدخلها على مشروعه أولا بأول ، حتى اليوم الذى رضى فيه أخيرا عن عمله ووجد الصيغة النهائية التى كان يبحث عنها .

وطلب من مستر أندرمات ان ينفذ وعده .

" فى ذلك اليوم تناول لويس لاكومب العشاء فى بيت أندرمات ، ثم انصرف فى المساء ، فى نحو الساعة الحادية عشرة والنصف ، ولم يره أحد بعدذلك .

" وبالاطلاع على صحف ذلك الوقت نجد ان اسرة الشاب أبلغت البوليس باختفائه . واهتمت النيابة ، ولكن تحقيقاتها لم تسفر عن شئ مؤكد ، وأجمع الجميع على أن لاكومب رجل غريب الأطوار دفعته أوهامه الى القيام برحلة دون أن يخطر أحدا بنواياه .

" واذا قبلنا هذه النظرية رغم غرابتها يبقى أمامنا سؤال هام لبلدنا نحن . ماذا حدث لتصميمات الغواصة ؟ هل أخذها لويس لاكومب معه أم أنها اختفت ؟

" ومن التحقيق البالغ الجدية الذى قمنا به ، ثبت أن هذه التصميمات موجودة ، وأنها كانت بين يدى الأخوين فاران ، ولكن كيف ؟ لم نستطع الاهتداء الى ذلك بعد ، كما اننا لانعرف لماذا لم يحاولا بيعها قبل ذلك . هل كانا يخشيان أن يسألهما أحد كيف حصلا عليها ؟ مهما يكن فان خوفهما لم يلبث أن تبخر ، ويمكننا أن نؤكد بكل يقين أن تصميمات لاكومب ملك الآن لحكومة عظمى اجنبية ، وفى وسعنا الآن أن ننشر المراسلات التى تبودلت فى هذا الصدد بين الأخوين فاران وممثل تلك الحكومة العظمى ، وغواصة السبعة الكبة التى اخترعها لويس

لاكومب قد قام جيراننا بتنفيذها .

" فهل يحقق الواقع آمال اولئك الذين اشتركوا فى هذه الخيانة ؟ لدينا أسباب كثيرة تحدونا الى أن نأمل عكس ذلك ، وهى أسباب سوف تحققها الأحداث ، كما نرجو .

وتلا ذلك المقال حاشية نصها كما يلى :

" آخر ساعة . تحقق ماكنا نرجو . فان مصادرنا الخاصة تتيح لنا أن نؤكد ان تجارب الغواصة السبعة الكبة لم تكن مرضية ويحتمل ان التصميمات التى سلمها الأخوان فاران كان ينقصها المستند الأخير الذى أعطاه لويس لاكومب لمسيو أندرمات ليلة اختفائه . وهو مستند لابد منه للاعداد النهائى للمشروع ، فيه ملخص للأعمال النهائية والاجراءات التى يجب اتمامها والتى بدونها تنعدم أهمية تلك التصميمات ، كما أن المستند لا فائدة منه بدون التصميمات .

"وعليه ، فقد حان الوقت للتصرف واسترداد ما يخصنا ، ونعتمد كثيرا للانتهاء من هذه المهمة البالغة الصعوبة على مساعدة مسيو أندرمات ، فان عليه أن يفسر لنا مسلكه الغامض الذى سلكه منذ البداية . ولن يقول لنا لماذا لم يذكر لنا ما يعرفه عندما انتحر اتيينى فاران فحسب وانما لماذا لم يطلعنا على اختفاء أوراق كان يعلم بوجودها . وسيقول لنا كذلك لماذا أمر بعض المخبرين السريين بمراقبة الأخوين فاران .

أننا لا ننتظر منه مجرد كلمات وانما ننتظر أعمالا والا .. "

كان التهديد قاسيا ، ولكن ماذا يعنى ، وما هى الوسائل التى يملكها سلفاتور .. ذلك الكاتب المجهول للتأثير على مسيو أندرمات ؟

وهجم بعض الصحفيين على مكتب المالى الكبير ، وعبرت عشر مقالات عن الازدراء الذى قابل به مسيو أندرمات اسئلتهم . وما لبثت جريدة ايكو دى فرانس ان نشرت التعليق التالى :

" سواء قبل مسيو أندرمات أم لم يقبل فسوف يتعاون معنا منذ الآن فى المهمة التى نضطلع بها ."

***

وفى اليوم الذى ظهر فيه هذا التعليق ، تناولت العشاء مع داسبرى . وفى المساء بسطنا الجرائد فوق المائدة ورحنا نناقش القصة ونفحصها من كل جوانبها ، بذلك الغيظ الذى يحس به المرء عندما يمشى فى الظلام الى مالا نهاية ، ويصطدم دائما بنفس العقبات .

وفجأة ومن غير أن يخطرنى خادمى انفتح الباب ، ودخلت سيدة تسدل علي وجهها قناعا كثيفا . ونهضت على الفور ومضيت اليها ، فسألتنى :

- هل انت السيد الذى يقيم هنا ؟
- نعم ياسيدتى . ولكننى أعترف لك .

قاطعتنى قائلة : كان الباب العمومى مفتوحا .

- ولكن باب البيت .

لم ترد . وخطر لى أنها دارت بالبيت ودخلت من سلم الخدم ، واستدللت من ذلك على أنها تعرف الطريق .

وساد صمت يصاحبه شئ من الارتباك . ونظرت هى الى داسبرى فقدمته اليها رغما عنى ثم رجوتها أن تجلس ، وأن تخبرنى بسبب زيارتها .

رفعت حجابها ، ورأيت أنها سمراء ، حلوة التقاطيع ، وان لم تكن جميلة جدا ، ذات سحر كبير ينبعث من عينيها على الخصوص ، وهما عينان يرتسم فيهما الوقار والحزن معا .

قالت بكل بساطة :

- انا مدام أندرمات .

هتفت وقد ازدادت دهشتى :

- مدام أندرمات ؟

ساد صمت قليلا ، ثم عادت تقول فى صوت هادئ ، وفى اطمئنان تام :

- أتيت بخصوص هذا الموضوع .. الذى تعرفه .. خطر لى أننى قد أستطيع الحصول على بعض المعلومات منك .

- ولكننى لا أعرف ياسيدتى أكثر مما ذكرته الجرائد وأرجوك أن تذكرى لى بكل وضوح فيم أستطيع أن أفيدك ؟

- لا أدرى .. لا أدرى .

وعندئذ فقط أحسست أن هدوءها لم يكن الا تصنعا وأن تحت ذلك الهدوء والاطمئنان التام يكمن اضطراب شديد . وخيم بيننا

- لا أدرى .
- ومع ذلك ؟
- لا تسلنى فى هذه النقطة .
- ولكن النبأ الذى نشرته جريدة "ايكو دى فرانس" يبدو أنه يقول .
- ما يبدو أن يقول هو أن الأخوين فاران ليسا غريبين عن هذا الاختفاء .
- أهذا رأيك ؟
- نعم .
- وعلام تبنين هذا الاعتقاد ؟
- عندما غادرنا لويس لاكومب فى تلك الليلة كانت معه حافظة بها كل الأوراق المتعلقه بمشروعه . وبعد يومين تم بين زوجى وبين أحد الأخوين ، وهو الذى على قيد الحياة ، حديث تأكد منه زوجى أن تلك الأوراق أصبحت بين يدى الأخوين .
- ولم يبلغ عنهما ؟
- كلا .
- لماذا ؟
- لأنه كان فى الحافظة شئ آخر غير أوراق لاكومب .
- أى شئ ؟
ترددت . واوشكت أن ترد . ولكنها لزمت الصمت أخيرا ، واستطرد داسبرى :

- هذا هو السبب اذن فى أن زوجك لم يخطر البوليس ، وعمل على مراقبة الأخوين . كان يأمل أن يستعيد ، فى نفس الوقت ، الاوراق والشئ الآخر المريب الذى كان الاخوان يمارسان عليه بسببه بعض الابتزاز .

- عليه .. وعلى انا .

- آه .. عليك انت أيضا .

- على انا على الخصوص .

نطقت بتلك الكلمات فى صوت أصم . ونظر داسبرى اليها مليا ثم سار بضع خطوات ، وعاد اليها :

- هل كتبت للويس لاكومب ؟

- طبعا .. كان زوجى على صلة به .

- فيما عدا تلك الخطابات الرسمية ، ألم تكتبى اليه .. *خطابات أخرى ؟ معذرة لالحاحى ، ولكن من الضرورى أن أعرف* كل الحقيقة . هل كتبت له خطابات أخرى ؟

تمتمت وقد اصطبغ وجهها جدا :

- نعم .

- وتلك الخطابات هى التى كانت مع الأخوين فاران ؟

- نعم .

- اذن فمسيو أندرمات يعرف ذلك .

- انه لم يرها . ولكن الفريد فاران أخبره بوجودها ، وهدده بنشرها اذا تصرف ضدهما . وخاف زوجى .. وتراجع أمام

الفضيحة .

- ولكنه بذل كل جهده لانتزاع تلك الأوراق منهما ؟

- أقدم على كل شئ . افترض ذلك على الأقل ، لأنه منذ مقابلته الأخيرة لألفريد فاران ، وبعد الكلمات العنيفة التى أطلعنى بها على الأمر لم تعد بينى وبين زوجى أية صلة وثيقة أو أية ثقة . اننا نعيش كغريبين .

- ليس هناك ما تخشين ضياعه فى هذه الحالة فمم تخافين ؟

- رغم أنه أصبح لا يبالى بى فأنا تلك التى أحبها والتى كان يمكنه أن يستمر على حبها .

وتمتمت فى صوت متهدج من الانفعال :

- أوه .. ما كان الا ليحبنى ثانية لو أنه لم يستول علي تلك الخطابات اللعينة .

- كيف ذلك ؟ .. أيكون قد أفلح ؟ .. ولكن الأخوين كانا شديدى الحذر مع ذلك .

- نعم . بل يبدو أنهما كانا يفخران بأن لديهما مخبأ أمينا .

- واذن ؟

- لدى ما يحملنى على الاعتقاد بأن زوجى اكتشف ذلك المخبأ .

- واين ذلك المخبأ ؟

- هنا .

- أجفلت وقلت :

- هنا ؟

- نعم . وقد كنت دائما على شك فى ذلك . فان لويس لاكومب كان بارعا جدا ، وشغوفا بالميكانيكا ، ويقضى أوقات فراغه فى عمل الخزائن والأقفال . ولا ريب أن الأخوين فاران فاجآه واستخدما احدى هذه المخابئ فيما بعد لإخفاء الرسائل .. وأشياء أخرى دون أى شك .

صحت : ولكنهما لم يقيما فى هذا المنزل .

- كان هذا البيت شاغرا حتى أقمت انت فيه منذ أربعة أشهر ومن المحتمل اذن أنهما كانا يترددان عليه . ثم إنه ربما خطر لهما أن وجودك لن يزعجهما اذا ما أرادا استرداد تلك الأوراق ذات يوم ولكنهما لم يعملا حسابا لزوجى ، فقد جاء هنا فى ليلة الثانى والعشرين من يونية واغتصب الخزانه وأخذ .. ما كان يبحث عنه . وترك بطاقته لكى يثبت للأخوين أنه لم يعد هناك ما يخشاه منهما ، وان الأدوار انقلبت . وبعد يومين ، فوجئ اتيين فاران بالمقال الذى نشرته جريدة جيل بلاس فأسرع الى هنا ، وبقى وحده فى تلك الليلة واذ تحقق من ان الخزانة فارغة انتحر .

سألها داسبرى بعد لحظة :

هذا مجرد افتراض ؟ .. أليس كذلك ؟ لم يقل لك مسيو أندرمات شيئا ؟

- كلا

- وهل تغير سلوكه نحوك . ألم يبد لك اكثر تجهما واكثر

اكتئابا ؟

- كلا .

- وهل تظنين أنه كان يظل على سلوكه السابق لك لو أنه عثر على هذه الخطابات. من ناحيتى أنا أعتقد أنه ، ليس هو الذى دخل هنا .

- من يكون اذن ؟

- هو الشخص الخفى الذى يحرك هذه القضية والذى يمسك بخيوطها ويديرها نحو هدف لانتبينه من خلال كل هذه التعقيدات الشخص الخفى الذى يعمل في الخفاء ، ويبذل كل جهده منذ الساعة الأولى . انه هو واصدقاؤه الذين دخلوا هنا ، إلى هذا البيت في ليلة الثانى والعشرين من يونية ، وهو الذى اكتشف المخبأ ، وترك بطاقة مسيو أندرمات . وهو الذى بحوزته الخطابات والأدلة التى تثبت خيانة الأخوين فاران .

قلت فى صبرنافذ :

- ومن هو ؟

- هو مراسل جريدة ايكو دى فرانس طبعا .. هو سلفاتور ، فان ذلك واضح لكل ذى عينين . ألم يذكر فى مقاله تفاصيل لا يمكن ان يعرفها الا الرجل الذى اكتشف سر الأخوين .

تمتمت مدام أندرمات مذعورة :

- اذا كان الأمر كذلك فخطاباتى معه الآن ، وهو الذى سيهدد زوجى بدوره . يا الهى ! .. ما العمل ؟

قال داسبرى فى وضوح :
- هو أن تكتبى اليه ، وأن توليه ثقتك دون لف أو دوران ، وأن تذكرى له كل ما تعرفينه وكل ما يمكن أن تعرفيه .
- ماذا تقول ؟
- ان مصلحتك هى مصلحته هو بالذات . ليس هناك أى شك فى أنه يتصرف ضد الباقى على قيد الحياة من الأخوين . انه لا يبحث عن أسلحة ضد زوجك وانما ضد ألفريد فاران مساعده
- وكيف ذلك ؟
- هل مع زوجك ذلك المستند الذى يتيح استخدام رسوم لويس لاكومب ؟
- نعم .
- أخبرى سلفاتور بذلك ، وحاولى أن تحصلى له على هذا المستند اذا استطعت ..صفوة القول ، اتصلى به فماذا تخسرين ؟
كانت النصيحة جريئة وشديدة الخطر لأول وهلة . ولكن لم يكن لدى مدام أندرمات خيار آخر ، وكما قال داسبرى فماذا تخسر ؟ اذا كان الرجل المجهول عدوا فان هذا الاجراء لن يزيد الأمر خطورة ، واذا كان أجنبيا يسعى وراء هدف خاص فانه لن يعلق على تلك الخطابات الا أهمية ثانوية .
ومهما يكن ، كانت هذه مجرد فكرة . واستقر رأى مدام أندرمات ، وهى فى سورة اضطرابها أن تعمل بها . وشكرتنا فى حرارة ووعدت بأن تطلعنا على مايستجد .

والواقع انها أرسلت الينا بعد يومين رسالة صغيرة تلقتها ردا على رسالتها لسلفاتور تقول :

" الخطابات لم تكن موجودة بالمخبأ ، ولكن اطمئنى فسوف أحصل عليها . اننى مهتم بكل شئ . "

أخذت الورقة . كان الخط هو نفس الخط الذى سطر الرسالة التى وجدتها بين صفحات كتابى فى ليلة الثانى والعشرين من يونيه .

كان داسبرى على حق اذن ، فان سلفاتور هو المدبر الكبير لهذه القضية .

والواقع أننا بدأنا نتبين بعض الأضواء خلال الظلمات التى كانت تحيط بنا وانار ضوء غير متوقع بعض النقاط . ولكن بقيت نقاط أخرى كثيرة غامضة ، كاكتشاف ورقتى السبعة الكبة . كنت انا بالذات أعود الى هذه النقطة والحيرة تستبد بى ، خصوصا بسبب الثقوب السبعة التى وقعت عيناى عليها فى تلك الظروف المزعجة . فما هو دورها فى هذه المأساة ، وما هى الأهمية التى يجب أن أنسبها اليها ، وما هى النتيجة التى يجب أن نستخلصها من حقيقة أن الغواصة التى صممت طبقا لرسوم لويس لاكومب تحمل اسم " السبعة الكبة " .

أما داسبرى فلم يهتم كثيرا بهاتين الورقتين وانما كان شديد الاهتمام بمسألة أخرى كان حلها يبدو له اكثر أهمية بكثير . كان يبحث عن المخبأ دون أى تعب أو ملل ، وكان يقول :

- من يدرى ؟ اذا لم أجد الخطابات التى لم يجدها سلفاتور.. ربما بسبب الاهمال .. فان الاحتمال قليل فى أن يكون الأخوان فاران قد نقلا السلاح الذى يعرفان قيمته الكبيرة من مخبأ يثقان فى مناعته .

وراح يبحث . ولم تحتفظ الغرفة الكبيرة بأية أسرار بالنسبة له ، وانتقل الى الغرف الأخرى ، وفحصها من الخارج ومن الداخل ، وفحص الأحجار وبلاط الجدران ورفع ألواح السقف .

وأقبل ذات يوم ومعه معول ومجرفة ، وأعطانى المجرفة واحتفظ بالمعول وأشار الى الأرض الفضاء وقال :

- هلم بنا .

تبعته دون حماس . وقسم الأرض الى أجزاء كثيرة راح يفحصها ، الواحد بعد الآخر ، ولكن لفت نظره ، فى ركن بين جدران بيتين متجاورين كومة من الدبش والحصى يكسوها العشب والاشواك ، فمضى اليها .

واضطررت أن أساعده . وبقينا طوال ساعة تحت لفح الشمس دون فائدة . ولكن عندما رفعنا الأحجار وبلغنا الأرض نفسها وحفرناها ارتطم معول داسبرى ببعض العظام ، وبهيكل لا تزال بعض قطع من الثياب عالقة به .

وفجأة أوشكت أن يغمى على ، فقد رأيت بطاقة حديدية مغروزة فى الأرض ، مستطيلة الشكل خيل لى اننى المح فيها بقعا حمراء ، فانحنيت . كانت بطاقة حديدية فى حجم ورقة من

- دعنى وشأنى .

نهضت من فراشي فى صباح اليوم الثالث ، ضعيفا للغاية ، ولكننى كنت قد شفيت . وأعاد الى الافطار الجيد قوتى ولكن رسالة مستعجلة فى نحو الساعة الخامسة ساعدت فى شفائى تماما ، وأثارت فضولى الى حد كبير .

كان نصها كالآتى .

" سيدى "

المأساة التى وقع الفصل الأول منها فى ليلة الثانى والعشرين من يونية توشك على الانتهاء . ويقتضينا ذلك أن نضع الشخصين الرئيسيين لهذه المأساة وجها لوجه ، وان تتم هذه المواجهة فى بيتك أنت بالذات . واكون ممتنا جدا لك اذا سمحت لى باستعارة بيتك الليلة . ومن الخير أن تبعد خادمك الليلة من الساعة التاسعة حتى الحادية عشرة ، ومن الأفضل الا تكون انت نفسك موجودا ، وأن تترك البيت للغريمين . وقد رأيت أنت نفسك اننى احترمت كل ممتلكاتك فى ليلة الثانى والعشرين من يونية، واعتقد أننى أهينك اذا شككت لحظة واحدة فى كتمانك التام بالنسبة للموقع ادناه

" المخلص سلفاتور . "

كان فى ذلك الخطاب لهجة ساخرة رقيقة ، وفى الطلب الذى يطلبه رغبة جميلة أطربتنى ، ووقاحة ظريفة . كان مراسلى واثقا تماما من قبولى ، وما كنت لأخيب رجاءه مهما يكن الأمر أو أقابل ثقته بالنكران والجحود .

غادر خادمي البيت فى الساعة الثامنة ومعه تذكرة للمسرح . وما كاد يخرج أقبل داسبرى . وأريته الرسالة المستعجلة فقال :

- حسنا ؟

- حسنا .. سأترك باب الحديقة مفتوحا حتى يتمكنا من الدخول .

- وهل ستنصرف أنت ؟

- ابدا .

- ولكنه يطلب منك ذلك .

- انه يطلب منى الكتمان ، وسأكون كتوما ، ولكننى شديد الرغبة فى أن ارى ما سوف يحدث .

راح داسبرى يضحك ويقول :

- لعمرى انك على حق . وسأبقى انا الآخر . وأظن اننا لن نشعر بأى ملل .

قطع رنين الجرس قوله فتمتمت :

- هل قدما ؟ .. قبل الموعد بعشرين دقيقة .. هذا محال .

شددت الحبل الذى يتصل بالباب فأنفتح . واجتازت امرأة الحديقة .. مدام أندرمات .

كانت تبدو شديدة الاضطراب ، وتمتمت وهى تكاد تختنق :

- زوجى .. انه قادم .. لديه موعد .. يجب ان يسلموه الخطابات .

سألتها : كيف عرفت ذلك ؟

- بالصدفة . من رسالة تلقاها زوجى أثناء العشاء .

- رسالة مستعجلة ؟

- بل رسالة تليفونية . سلمها له الخادم خطأ . وأخذها زوجى على الفور ، ولكننى كنت قد تمكنت من قراءتها قبل ذلك .

- وماذا قرأت ؟

- بالتقريب : " عليك ان تكون فى شارع مايو فى الساعة التاسعة من مساء اليوم ومعك المستندات الخاصة بالمسألة التى تعرفها ، وذلك مقابل الخطابات . " وصعدت الى غرفتى بعد العشاء ثم خرجت .

- خفية عن مسيو أندرمات ؟

- نعم .

- نظر داسبرى الى وقال :

- ما رأيك ؟

- أرى ماتراه انت وهو أن مسيو أندرمات أحد الغريمين المدعوين .

- ومن الذى دعاه ؟ ولأى غرض ؟

- هذا ما سوف نعرفه بالذات .

واصطحبتها الى الغرفة الكبرى .

كان فى استطاعتنا عند الضرورة أن نختبئ بجوار المدفأة ، خلف الستار المخملى . فجلسنا ومدام أندرمات بيننا ، كانت الغرفة كلها ظاهرة أمامنا من خلال ثقوب الستارة .

دقت الساعة تسع دقات، وبعد بضع دقائق صدر صرير عن باب الحديقة .

وأعترف أننى كنت أشعر فى ذلك الوقت بشئ من القلق ، واعترتنى حمى جديدة ، فقد كنت على وشك معرفة مفتاح اللغز وأوشكت المغامرة العجيبة التى تدور حوادثها أمامى منذ اسبوع على أن تنكشف حقيقتها ، كما أن الموقعة النهائية ستقع أمام عينى .

وأمسك داسبرى بيد مدام أندرمات وهمس :

- ولا حركة وعليك أن تلزمى الهدوء مهما تسمعين أو ترين .

ودخل رجل عرفته على الفور للشبه الكبير الذى بينه وبين اتيين فاران ، فقد كان هو الفريد ، نفس المشية المتثاقلة ، ونفس الوجه الشاحب ونفس اللحية الكثيفة التى تخفى نصف وجهه الأسفل .

دخل وعليه سمات القلق ذلك القلق الذى يتملك الرجلا يخشى دائما الأحابيل التى تكتنف طريقه والذى يحس بها ويتجنبها . وشمل الغرفة بنظرة واحدة . وخيل إلى ان المدفأة التى تخفيها

ستارة من القطيفة لا تروق له . وتقدم نحونا ثلاث خطوات .
ولكن لاريب ان شيئا قهريا أجبره على أن يتحول لأنه استدار
نحو الجدار ، وتوقف أمام تمثال الامبراطور ذى اللحية الكبيرة
والسيف البراق ، وفحصه طويلا بعد أن صعد على مقعد ، وراح
يدور باصبعه حول الكتفين والوجه ، ويتحسس أجزاء معينة من
التمثال .

ولكنه وثب من فوق مقعده فجأة وابتعد عن الجدار ، فقد
سمع بعض الخطوات ، ولم يلبث أن ظهر مسيو أندرمات .

واطلق المالى صيحة دهشة وهتف :

- أنت .. أنت الذى استدعيتنى ؟

- أنا ؟ .. أبدا .. بل ان خطابك هو الذى حفزنى على
الحضور .

- خطابى ؟

- خطاب بتوقيعك تعرض على فيه .

- انا لم اكتب اليك .

- بل كتبت الي .

وسرعان ما اتخذ فاران ، بحكم العادة ، هيئة الدفاع ، ليس
ضد المالى ، وانما ضد العدو المجهول الذى جره الى هذا الكمين .
وتحولت عيناه مرة ثانية نحونا ثم أسرع واتجه نحو الباب .

واعترض مسيو أندرمات طريقه قائلا :

- ماذا تفعل يا فاران ؟

- فى هذه القصة أشياء لا تروق لى ، وأنا منصرف . طابت ليلتك .

- لحظة واحدة .

- لا داعى للالحاح يا مسيو أندرمات فليس لدينا ما يقال .

- بل لدينا الكثير ، والفرصة مراتية الآن .

- دعنى أمضى .

- كلا ، كلا ، لن تخرج .

ارتد فاران وقد تملكه الخوف من تصميم المالى وتمتم :

- فلتسرع اذن بالكلام ولنفرغ من هذا الأمر .

شئ واحد ادهشنى ، ولم أشك فى ان زميلى قد دهشا له هما الآخران ، ذلك هو كيف لم يأت سلفاتور . ألم يكن قد استقرت نيته على التدخل ، وألم تبدله المواجهة بين المالى وفاران كافية وحدها . تملكنى القلق لعدم مجيئه ، فان هذا النضال الذى سعى هو اليه وأراده يتخذ الآن السمة المفجعة للأحداث التى يدبرها القدر ، والقوة التى تدفع بأحد الغريمين نحو الآخر كانت تثير المشاعر اكثر من القوة التى تكمن خارج كل منهما .

وبعد لحظة اقترب مسيو أندرمات فاران ، وحدق فى عينيه دون مواربة وقال :

- الآن وقد انقضت سنوات ولم يعد هناك ماتخشاه أجبنى بصراحة يافاران . ماذا فعلتما بلويس لاكومب ؟

- ياله من سؤال . كأننى أستطيع أن أعرف ما حدث له .

- انت تعرف ذلك .. تعرف ذلك انت وأخوك . كنتما تتبعانه خطوة خطوة ، وكنتما تعيشان معه تقريبا فى بيته ، وهو نفس البيت الذى نحن فيه الآن ، كنتما على علم بكل أعماله وكل مشروعاته . وفى آخر ليلة يافاران ، بعد أن شيعته أنا حتى الباب رأيت شخصين يتسربلان بالظلام ويتبعانه ، وانا على استعداد لأن أقسم على ذلك .

- وماذا بعد أن تقسم ؟

- كنت انت وأخوك يافاران .

- اثبت ذلك .

- ان خير اثبات هو انك بعد يومين من ذلك أتيتنى أنت نفسك وعرضت على الأوراق والرسوم التى أخذتها من حافظة لاكومب ، واقترحت ان تبيعها لى ، فكيف وقعت هذه الأوراق فى حوزتك .

- قلت لك ذلك يامسيو أندرمات . وجدناها فوق مكتب لويس لاكومب ، في صباح اليوم التالى لاختفائه.

- هذا غير صحيح .

- اثبت ذلك .

- كان يمكن للبوليس أثبات ما أقول .

- ولماذا لم تبلغه ؟

- لماذا ؟ .. نعم ، لماذا ؟

***

وسكت وقد تجهم وجهه . وعاد الآخر يقول :

- لو انك كنت متأكدا تماما لما منعك التهديد التافه الذى مارسناه ضدك من ابلاغ البوليس .

- أى تهديد ؟ تلك الخطابات ؟ .. هل تتصور أننى صدقت وجودها لحظة واحدة ؟

- اذا لم تصدق وجودها فلماذا عرضت على الآلاف والمئات لرؤيتها ؟ ولماذا عملت على مراقبتنا ليلا ونهارا ، انا وأخي ، كالحيوانات الطريدة ؟

- لكى استرد رسوما كنت شديد التمسك بها .

- دعك من هذا الهزر . انما كان ذلك من أجل الخطابات ، فما أن تستولى عليها حتى تسارع بالابلاغ عنا .

وانفجر ضاحكا ، ولكنه لم يلبث أن قال :

- ولكن فى هذا الكفاية ، فلن نتقدم خطوة واحدة رغم كل ما قد يقال . وعليه فلن نزيد .

قال المالى : لن نزيد فعلا ، ولكن مادمت قد تحدثت عن الخطابات فلن تخرج من هنا قبل أن تعيدها لى .

- بل سأخرج .

- كلا . كلا .

- اسمع يامسيو أندرمات .. أنصحك .

- لن تخرج .

قال فاران فى لهجة من الغيظ جعلت مدام أندرمات تكتم صيحة خافتة :

ولاريب أنه سمعها لأنه أراد أن يمر بالقوة . ولكن مسيو أندرمات دفعه فى عنف ، وعندئذ رأيته يدس يده فى جيب سترته .

– للمرة الأخيرة .

– الخطابات أولا .

أخرج فاران مسدسا من جيبه صوبه نحو مسيو أندرمات .

– نعم أم لا .

انحنى المالى على الفور . وانطلقت رصاصة . ووقع المسدس من يد فاران .

دهشت . فقد انطلقت الرصاصة بجوارى انا بالذات . وكان داسبرى هو الذى أسقط المسدس من يد الفريد فاران . ووقف فجأة بين الغريمين مواجها فاران وقال :

– انك محظوظ يا صاحبى . محظوظ حقا . فقد صوبت نحو يدك ولكن المسدس هو الذى أصبته .

حدق الرجلان فيه وقد جمدتهما الدهشة . وقال داسبرى يخاطب المالى :

– أرجو أن تلتمس لى العذر يا سيدى لتدخلى فيما لا يعنينى . ولكن الحق انك تقوم بدورك بطريقة خرقاء . فاسمح لى بان أقوم بدورى نيابة عنك .

وتحول نحو الآخر وقال :

- الأمر بيننا الآن يا صاحبى ، وارجو ان تكون صريحا معى فالورقة الرابحة هى القلب وانا ألعب على السبعة .

ووضع البطاقة الحديدية ذات السبعة الثقوب الحمراء على بعد ثلاث سنتيمترات من وجهه .

***

لم أر فى حياتى مثل هذا الهلع والاضطراب ، فقد اصفر وجه الرجل واتسعت عيناه وتوترت ملامحه من القلق وبدا كأن الصورة التى أمامه قد جمدته مكانه . وتمتم :

- من أنت ؟

- سبق أن قلت ذلك . أنا شخص يتدخل فيما لا يعنيه .. ولكننى أتدخل فيه الى حد كبير .

- ماذا تريد ؟

- كل ما أتيت به .

- لم آت بشئ .

- بل أتيت . والا ما كنت تأتى . انك تلقيت صباح اليوم كلمة تستدعيك هنا فى الساعة التاسعة ، وتأمرك باحضار كل الأوراق التى لديك ، وها أنت قد أتيت ، فأين الأوراق ؟

كان فى لهجة داسبرى ، وفى تصرفه قوة طاغية أدهشتنى، وطريقة جديدة لديه فى التصرف . وكنت أظنه متهاونا ووديعا . وأحدثت لهجته الآمرة أثرها فى ألفريد لأنه أشار الى أحد جيوبه وقال :

- الأوراق هنا .

- كل الأوراق ؟

- نعم .

- كل الأوراق التى وجدتها فى حافظة لويس لاكومب والتى بعثها للميجور فون ليبن ؟

- نعم .

- أهى الأوراق الأصلية أم صورة منها ؟

- الأصلية .

- كم تريد مقابلها ؟

- مائة ألف .

قهقه داسبرى وقال :

- أنت مجنون . ان الميجور لم يدفع لك غير عشرين ألفا .. عشرون ألفا ضاعت سدى لأن الرسوم ناقصة .

- انهم لم يعرفوا كيف يستخدمونها .

- ذلك لأن الرسوم كانت ناقصة .

- لماذا تطلبها منى اذن ؟

- لأننى بحاجة اليها . سأنقدك خمسة آلاف فرنك ، ولا فرنك

زيادة .

- بل عشرة آلاف تنقص فرنكا واحداً .

- اتفقنا .

وتحول الى مسيو أندرمات وقال له :

- أرجو أن توقع على شيك أيها السيد .

- ولكن ليس معى .

- دفتر شيكاتك ؟ .. ها هو .

ذهل مسيو أندرمات ، وراح يجس دفتر الشيكات الذى بسطه له داسبرى ثم قال :

- انه دفترى .. كيف حدث ان .

- أرجوك .. لا داعى لكلام لا طائل منه أيها السيد العزيز ما عليك الا أن توقع .

أخرج المالى قلمه ووقع .ومد فاران يده ، ولكن داسبرى قال:

- أبعد يدك .. لم نفرغ من كل شئ بعد .

وتحول الى المالى وخاطبه قائلا :

- كانت هناك خطابات تسعى ورا ءها .

- نعم ، حزمة من الخطابات .

- أين هى يافاران .

- ليست معى.

- اين هى يافاران ؟

- لا أدرى ، فان أخى هو الذى كان يحتفظ بها .

- انها مخبوءة فى هذه الغرفة .
- اذا كان الأمر كذلك فأنت تعلم مكانها .
- وكيف أعرفه ؟
- عجبا . ألست أنت الذى وجدت المخبأ ؟ انك تبدو انك على علم بكل شئ تماما كسلفاتور .
- الخطابات ليست فى المخبأ .
- بل فيه .
- افتحه اذن .

نظر فاران الى داسبرى فى تحد . أكان داسبرى وسلفاتور شخصاً واحداً اذن كما يوحى بذلك كل شئ ؟ اذا كان الجواب نعم فانه لا يجازف بشئ باظهاره المخبأ لأنه سبق أن اكتشفه . اما اذا كان الجواب لا فلا فائدة .. وعاد داسبرى يقول :

- افتحه .

ليس معى سبعة كبة .

قال داسبرى وهو يمد يده بالبطاقة الحديدية :

- بل هى معك الآن .

ارتد فاران مذعورا وصاح :

- كلا .. كلا .. لا أريد .
- هذا لايهم .

واتجه داسبرى نحو تمثال الامبرطور ذى اللحية الكثة ، وصعد فوق مقعد وضغط بالبطاقة على مقبض السيف بحيث انطبقت

على حافتى السيف ، ثم بمساعدة مثقب ادخله بالتتابع فى كل من الثقوب السبعة ، وضغط بيده على سبعة أحجار صغيرة من أحجار التمثال . وعند آخر ضغطة فى آخر حجر صدر صوت ، وتحرك صدر التمثال كاشفا عن فجوة كبيرة بدت كأنها خزانة ، مبطنة بالحديد وبها رقاق من الصلب اللامع .

- أنت ترى جيدا يافاران ان الخزانة فارغة .

- هذا صحيح .. وهذا معناه أن أخى أخذ الخطابات .

عاد داسبرى الى الرجل وقال له :

- لا تتلاعب بى .. هناك مخبأ آخر فأين هو ؟

- ليس هناك مخبأ آخر .

- هل تريد مالا ؟ .. كم ؟

- عشرة آلاف .

- مسيو أندرمات .. هل تساوى تلك الخطابات عشرة آلاف فرنك فى نظرك ؟

قال المالى فى صوت قوى :

- نعم .

أغلق فاران الخزينة وأخذ السبعة الكبة فى ضيق ظاهر ووضعها فوق السيف وفى نفس الموضع بالذات ولكن بعد ان قلبها بحيث أصبح القلب الأسفل أعلى وضغط بالمثقب نفس الثقوب ، وصدرت عندئذ تكة أخرى ولكن حدث شئ غير متوقع فقد دار جزء صغير من الخزانة كاشفا عن خزانة أخرى معدة فى نفس باب

الخزانة الكبيرة .

وكانت حزمة الخطابات موجودة بها ، مربوطة بشريط ومختومة ، ناولها فاران لداسبرى . وقال هذا الأخير :

– هل أعددت الشيك يا مسيو أندرمات ؟

– نعم .

– وهل معك كذلك المستند الأخير الذى أعطاه لك لويس لاكومب والذى يكمل رسوم الغواصة ؟

– نعم .

وتمت المبادلة . فوضع داسبرى المستند والشيك فى جيبه ، وناول حزمة الخطابات لمسيو أندرمات وهو يقول :

– اليك ما تريد ايها السيد .

تردد المالى لحظة كما لو أنه يخشى أن يلمس تلك الخطابات الملعونة التى بحث عنها بكل تلك الشراسة ، ثم تناولها فى عصبية .

وسمعت بجوارى أنينا فأمسكت بيد مدام أندرمات فاذا بها باردة كالثلج . وقال داسبرى مخاطبا المالى :

– اظن ان حديثنا قد انتهى ايها السيد . لا داعى للشكر ، أرجوك . ان الصدفة وحدها هى التى شاءت أن أخدمك .

وانصرف مسيو أندرمات ومعه خطابات زوجته للويس لاكومب .

***

صاح داسبرى فى مرح :

- حسن جدا . سار كل شئ على ما يرام . لم يعد أمامنا الا أن نفرغ من هذا العمل يا صاحبى . هل معك الأوراق ؟

- ها هى كلها .

قلبها داسبرى وفحصها فى عنايةكبيرة ، ثم دسها فى جيبه وهو يقول :

- حسنا . انك وفيت بوعدك .

- ولكن ؟

- ولكن ماذا ؟

- الشيكان ؟ .. النقود ؟

- آه .. آه .. انك جرئ ياصاحبى .. كيف تجرؤ على المطالبة .

- اننى أطالب بما يخصنى .

- وهل تدين لك بشئ مقابل أوراق سرقتها ؟

بدا الرجل وقد خرج عن طوره ، وراح يهتز لفرط الغضب وقد احتقنت عيناه وتلعثم :

- النقود .. العشرون ألفا .

- محال .. اننى أنوى استخدامها .

- النقود ؟

- الزم العقل ياصاحبى ، ودع هذا الخنجر جانبا .

وأمسك بذراعه فى عنف بحيث صرخ الرجل من الألم ،

وأردف :

- انصرف ياصاحبي . سيجعلك الهواء الطلق أحسن حالا .. هل تريد أن أصحبك . سنمشى فى الأرض الفضاء ، وسأريك كومة من الأحجار تحتها .

- ليس هذا صحيحا .. ليس هذا صحيحا .

- بل صحيح ، وصحيح تماما . هذه البطاقة الحديدية ذات الثقوب السبعة الحمراء جاءت من هناك . لم يكن لويس لاكومب يفترق عنها ابدا . وقد دفنتها أنت وأخوك مع الجثة ، ومعها أشياء أخرى ستهم العدالة كل الاهتمام .

غطى فاران وجهه بقبضتيه فى حنق ثم قال :

- ليكن . انك خدعتنى . فلندع الحديث عن ذلك ولكن .. كلمة .. كلمة واحدة . أريد أن أعرف .

- اننى مصغ اليك .

- كان فى هذه الخزانة .. الكبرى .. صندوق .

- نعم .

- هل كان موجودا عندما أتيت هنا فى ليلة الثانى والعشرين من يونية ؟

- أجل .

- كان يحتوى .

- على كل ما وضعه فيه الأخوان فاران .. مجموعة جميلة من المصوغات الماسية واللآلئ ، سرقها الأخوان فاران .

- وهل أخذته ؟
- طبعا .. ضع نفسك مكانى .
- اذن فقد انتحر أخى عندما تحقق من اختفاء الصندوق .
- محتمل .. فان ضياع مراسلاتك مع الميجور فون لين ما كانت لتدفعه الى الانتحار ، فى حين أن اختفاء الصندوق .. أهذا كل ما كنت تريد أن تسألنى اياه .
- بل هناك سؤال آخر .. ما اسمك ؟
- انك تلقى على هذا السؤال كما لو ان الانتقام يخطر ببالك.
- طبعا . فان عجلة الحظ تدور . انت اليوم الأقوى ولكن غدا .
- ستكون انت الأقوى .
- اننى اعتمد على هذا . ما أسمك ؟
- أرسين لوبين .
- أرسين لوبين !
ترنح الرجل كما لو أن ضربة أصابته فى الصميم بدا كأن هاتين الكلمتين انتزعتا منه كل أمل . وراح داسبرى يضحك .
- آه . عجبا ! اكنت تتصور أن شخصا باسم دوران أو ديبون كان بمقدوره أن يدبر مسألة كهذه ؟ آه . كان لابد على الأقل ان يكون ذلك الشخص أرسين لوبين . والآن وقد أخبرتك باسمى ياصاحبى الصغير امض وأعد انتقامك فان أرسين لوبين ينتظرك ..

ودفعه الى الخارج دون أن ينبس بكلمة أخرى .

***

صحت وانا مازلت ادعوه رغما عنى بالاسم الذى عرفته به :

- داسبرى .. داسبرى .

وأزحت الستارة فأسرع الى قائلا :

- ماذا ؟ .. ما الخبر ؟

- مدام أندرمات متوعكة .

هرع اليها وأنعشها بأن أدنى من أنفها زجاجة صغيرة من الاملاح . وسألنى وهو يعنى بها :

- حسنا . ما الذى حدث ؟

قلت له : الخطابات .. خطابات لويس لاكومب التى أعطيتها لزوجها .

ضرب جبينه بيده وقال :

- هل اعتقدت اننى فعلت ذلك .. ولكن نعم ، مهما يكن فقد كان لابد لها أن تعتقد ذلك . ما أغبانى !

وكانت مدام أندرمات قد أفاقت وراحت تصغى اليه فى اهتمام . وأخرج من جيبه رزمة صغيرة أشبه تماما بتلك التى أعطاها لمسيو أندرمات وقال :

- ها هى خطاباتك يا سيدتى .

- ولكن .. والأخرى ؟

- الأخرى هى نفس هذه الخطابات ولكننى أعدت كتابتها الليلة ورتبتها بكل عناية . سيكون زوجك سعيدا بقراءتها ، ولن يشك لحظة واحدة فى استبدالها مادام كل شئ قدوقع تحت بصره .

- والخط ؟

- ليس هناك خط لا يمكن تقليده .

شكرته بنفس كلمات الامتنان التى كان يمكن أن تخاطب بها رجلا من مجتمعها ، ورأيت من ذلك أنها لم تسمع العبارات الأخيرة التى تبودلت بين فاران وأرسين لوبين .

أما انا فقد نظرت اليه دون أي حرج ، لا أدرى ماذا أقول لهذا الصديق القديم الذى ظهر لى فجأة بحقيقتـه : لوبين .. هو لوبين ، زميلى فى النادى لم يكن غير لوبين ، لم أفق من الدهشة أما هو فقد كان محتفظا بكل هدوئه ورقته . وقال :

- يمكنك أن تودع جان داسبرى .

- آه .

- نعم . سيقوم جان داسبرى برحلة .. سأرسله الى مراكش ، ومن المحتمل جدا أن تقع له نهاية تليق به ، بل اننى أعترف أن هذه هى نيته .

- ولكن هل يبقى أرسين لوبين ؟

- اوه . اكثر من أى وقت مضى . ان أرسين لوبين ليس الآن الا فى بداية حياته فحسب ، وهو ينوى أن ...

دفعة لا تقاوم من الفضول دفعتنى اليه . وجذبته بعيداً عن مدام أندرمات وقلت له :

- اذن فقد انتهيت الى اكتشاف المخبأ الثانى ، وذلك الذى كانت توجد به الخطابات ؟

- لقد تجشمت ما يكفى من العناء . وأمس فقط ، بعد الظهر ، بينما كنت تنام . ومع ذلك فالله يعلم كم كان الأمر سهلا . غير ان أسهل الأشياء هى التى لا تخطر على بال أحد الا فى النهاية

ثم أرانى السبعة الكبة وقال :

- حدست تماما أنه لكى أفتح الخزانة الكبرى يجب أن أضغط هذه البطاقة على مقبض سيف الامبراطور .

- وكيف حدست ذلك ؟

- بكل سهولة . من معلوماتى الخاصة . كنت أعرف وأنا قادم هنا فى ليلة الثانى والعشرين من يونية .

- بعد ان افترقت عنى .

- نعم ، وبعد أن جعلتك ، ببعض الأحاديث المختارة فى حالة ذهنية بحيث ان رجلا عصبيا وسريع التأثير مثلك لابد أن يتصرف كما أريده أن يفعل دون أن يغادر فراشه .

- كان استنتاجك صائبا .

- كنت أعرف اذن وانا قادم إلى هنا ان هناك صندوقا مخبوءا فى خزانة سرية ، وأن السبعة الكبة هى مفتاحها ، ولم يكن على

الا ن أضغطها فى مكان مخصص لها بالذات . وكانت ساعة واحدة من الفحص كافية .

– ساعة واحدة !

– انظر الى تمثال الامبراطور .. انه صورة طبق الأصل من الملك شارلمان التى تظهر فى كل اوراق اللعب .

– هذا صحيح . ولكن لماذا تفتح ورقة السبعة الكبة الخزانة الكبرى حينا ثم الصغرى حينا آخر ؟ ولماذا لم تفتح فى البداية الا الخزانة الكبرى .

– لماذا ؟ .. لأننى أصررت دائما على وضع السبعة الكبة فى نفس الوضع ، وأمس فقط أدركت أننى اذا وصفتها بالمقلوب فان وضع الثقوب السبعة يتغير .

– هذا صحيح .

– هذا صحيح بالطبع . ولكن كان يجب أن أفطن الى ذلك .

– ثم شئ آخر .. انك كنت لا تعرف شيئا عن خطابات مدام أندرمات .

– عندما تكلمت عنها أمامى ؟ نعم فلم اكن قد وجدت فى الخزانة الا صندوق المجوهرات ومراسلات الأخوين التى كشفت لى عن خيانتهما .

صفوة القول هى الصدفة وحدها التى حملتك أولا على اعادة ترتيب قصة الأخوين ثم البحث عن رسوم ومستندات الغواصة .

– هى الصدفة وحدها .

- ولكن عن أى شئ كنت تبحث ؟ .

قاطعنى داسيرى وهو يقول ضاحكا :

- رباه ! ما أشد اهتمامك بهذا الأمر .

- انه يستهوينى جدا.

- حسنا ، صبرا حتى ارافق أولا مدام أندرمات ، ثم ابعث الى جريدة ايكو دى فرانس الكلمة التى سأكتبها الآن ، ثم أعود وأذكر لك كل شئ بالتفاصيل .

وجلس ، وكتب احدى تلك الكلمات القصيرة البليغة حيث يظهر مرح الشاب وخياله . ومن ذلك الذى لا يتذكر الضجة التى أحدثتها هذه االكلمات فى العالم أجمع .

***

" كشف أرسين لوبين عن اللغز الذى طرحه سلفاتور أخيرا وقد حصل على جميع المستندات والتصميمات الأصلية للمهندس لويس لاكومب وأرسلها الى وزير الحربية . وهو يفتتح بهذه المناسبة تبرعا لاهداء الحكومة أول غواصة تبنى طبقا لتلك التصميمات . ويفتتح هو نفسه قائمة التبرعات بمبلغ عشرين ألف فرنك . "

***

سألته عندما أعطانى الورقة لكى أقرأها :

- أهى العشرون الف قيمة الشيكين اللذين حررهما مسيـ
أندرمات .

- تماما ، فمن العدل أن يعاقب فاران عن خيانته ولو جزئيا .

* * *

وهكذا عرفت أرسين لوبين .. هكذا عرفت أن جان داسبرى
زميلى فى النادى ، ومن رجال المجتمع لم يكن غير أرسين لوبـ
اللص الشريف ، وهكذا عقدت معه ، ذلك الرجل العظيم أواصـ
صداقة ، وكيف أننى شيئا فشيئا ، بفضل الثقة التى شاء أ
يولينى اياها أصبحت المترجم المتواضع لحياته ، والأمين والعارفـ
بالجميل .

تمت بحمد الله

مجموعة أرسين لوبين

ترجمة / محمد عبد المنعم جلال

السعر

مكتبة معروف إخوان

اسكندرية ـ ٤ ش سعد زغلول ـ ت : ٨١٠٨٢٨

القاهرة ـ ٤٣ ب ش رمسيس ـ ت : ٥٧٤٣٦١١

مكتبة دار الشعب

ت: ٤١١١٢٠٧ - ٤٠٥٨٨٦٦ الرياض